مصر الرومانية

دكتور
مصطفى كمال عبد العليم

١٩٧٢

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة سعيد رأفت
جامعة عين شمس

مصر الرومانية

دكتور
مصطفى كمال عبد العليم

١٩٧٢

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة سعيد رأفت
جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

==

مصر في عصر الرومان

في اليوم الأول من الشهر المصري توت الموافق اليوم التاسع والعشرين من شهر أغسطس عام ٣٠ ق • م • بدأ حكم اكتافيانوس لمصر ، وذلك بعد أن دخل الاسكندرية في أول أغسطس عام ٣٠ ق • م •

واستمر أكتافيانوس يحكمها بعد أن أصبح أول امبراطور روماني وأصبح يعرف باسم أغسطس حتى وفاته في عام ١٤ م • وتتابع على حكمها خلفاؤه من الأسرة اليوليية الكلودية (تيبريوس Tiberius ١٤ ــ ٣٧ م ، جايوس (كاليجولا) ٣٧ ــ ٤١ م ، كلوديوس ٤١ ــ ٥٤ م) ، نيرون ٥٤ ــ ٦٨ م) •

ثم كان الصراع على عرش الامبراطورية بين جاليا وأوتو وفيتيليوس وفسباسيانوس في عام ٦٨/٦٩ • وعرف هذا العام باسم عام الأباطرة الأربعة وانتهى بتغلب فسباسيانوس (٦٩ ــ ٧٩) على منافسيه وانفراده بعرش روما على رأس الأسرة الفلافية (نسبة الى اسم عشيرة الامبراطور) وخلفه ولداه تيتوس (٧٩ ــ ٨١) ، ودوميتيانوس (٨١ ــ ٩٦)

ثم كان عصر الأباطرة الثلاث نرفا (٩٦ ــ ٩٨) ، تراجان (٩٨ ــ ١١٧) ، هادريان (١١٧ ــ ١٣٨ م) •

وأبرز تلك الأحداث :

أولا ــ أعمال أغسطس في مصر :

١ ــ تأمين الأوضاع في الداخل وفي الخارج • وتوزيع الفرق العسكرية الرومانية في المواقع الاستراتيجية الرئيسية واخماد الثورات •

٢ ــ موقف الحكومة الرومانية من طبقات السكان ، الرومان ، الاغريق مواطني المدن الاغريقية وخاصة الاسكندرية ، والاغريق والمتأغرقين من سكان عواصم

المديريات والمصريين واليهود والربط بين الوضع القانونى لهذه الطبقات وبين ضريبة الرأس (laographia) ، التى فرضت بقيمتها الكاملة على المصريين واليهود laographemenoi ، وبقيمة مخفضة على سكان عواصم المديريات metropolitai أو metropolitikoi ، مع اعفاء مواطنى الاسكندرية ، وعناصر أخرى من هذه الضريبة كلية epikrimenoi مع ملاحظة أن أوغسطس حينما أعفى مواطنى الاسكندرية من هذه الضريبة فرضها كاملة على اليهود • وعلى حين أنه لم يوافق على أن يعيد لمواطنى الاسكندرية الاغريق مجلس الشورى Boulé ، وافق على أن يستمر لليهود الحق فى التمتع بمجلس الشيوخ الذى كان لجاليتهم •

وفى رأينا أن أوغسطس لم يشأ أن يعامل الفريقين على أساس اتباع سياسة التفرقة بينهما بحرمان فريق من بعض الامتيازات واسباغها على الفريق الاخر • وانما بكل بساطة أراد الامبراطور أن يقر وضعا قانونيا لكل منهما على نحو ما وجده سائدا فى أواخر عصر البطالمة •

٣ - الاهتمام بتنمية موارد مصر الاقتصادية

٤ - الحملة على بلاد النوبة

ثانيا - أوغسطس والاسكندرية والاغريق :

أظهر الامبراطور للعالم أجمع مدى ما كان يكنه من تقدير لاستاذه اريوس Areius الاسكندرى • وعندما دخل الاسكندرية كان يشاهد وهو يتحدث معه ويمطيه يده •

وقد عفا عن الاسكندرية لأسباب ثلاث :

١ - أن مؤسسها هو الاسكندر الأكبر

٢ - لجمالها وضخامتها

٣ - ومن أجل صديقه أريوس

ويحدثنا المؤرخ ديون كاسيوس عن عفو أوغسطس عن الاسكندرية وعطفه عليهم بأن ألقى خطابه فيهم بلغتهم الاغريقية • وهذه لغة لم يحقق فيها الامبراطور أى تقدم ملحوظ ولم يكن ليتكلمها بطلاقة • وقد اعتاد كتابة ما يريده من الولايات الشرقية باللغة اللاتينية ثم يعهد به الى التراجمة لنقله الى اللغة الاغريقية • ولعل أريوس هو الذى تولى ترجمة خطابه فى مواطنى الاسكندرية الى اللغة الاغريقية •

ولم ينتقذ أريوس الاسكندرية فقط من عقاب الامبراطور بل انه أنقذ حياة الفيلسوف فيلوستراتوس Philostratos الذى كان من المعجبين بكليوباترة ، ولكنه كان صديقا لأريوس • ونجح أريوس فى الحصول على قرار بالعفو عنه • وكذلك توصل اكسينارخوس الفيلسوف الشكاك بفضل أريوس الى أن يصبح صديقا للامبراطور وظل فى روما يحلم حتى وافته منيته وحملت قريته فى مصر اسم هذا الفيلسوف •

وبعد وفاة أريوس احتل مكانته عند الامبراطور مواطنه الاسكندرى الفيلسوف الروائى ثيون C.Julius Theon ربما كان قد منح الجنسية الرومانية وجاء فى احدى البرديات أن الامبراطور أهداه ضياعا واسعة فى مصر من الأراضى الملكية • وقد أهدى ثيون أرضه الى الربة ايزيس ، ولكنه عاد وطلب نقل ملكيتها الى ابنه ثيون •

وقد تولى نيكانور ، وديونيسيوس ، وهما ولدا أريوس مساعدة الامبراطور فى دراساته الاغريقية بعد وفاة أبيهما وهما بصفة خاصة مسئولين عن نقل النصوص اللاتينية الى الاغريقية لاذاعتها بين الشعوب التى تتحدث الاغريقية • ولعل نيكانور كان يتولى أيضا مهمة الاشراف على مصالح الامبراطور فى بلاد الاغريق •

وبرز من بين أسماء الشخصيات المثقفة فى الاسكندرية اسم يوليوس هيجينوس Julius Hyginus الذى عهد اليه بالاشراف على مكتبات الامبراطور فى روما وكان قيصر قد أحضره الى روما •

وأصبح من التقاليد المرعية استخدام الاغريق فى البلاط الامبراطورى بفضل ما تتوفر لديهم من براعة دبلوماسية وذوق رفيع وثقافة عميقة بوصفهم عملاء للامبراطور ووكلاء عنه .

وأوضحت مصادر البردى أن أغسطس عين فى وظيفة الايديوس لوجوس ايروس وهو عبد اغريقى محتق وكان ثيون الذى أهداه الامبراطور ضياعا واسعة فى مصر يشغل منصب القاضى الأعظم للاسكندرية وكل مصر وربما جمع الى هذا المنصب منصب الايديوس لوجوس أيضا . وربما جمع أغريقى اسكندرى اسمه يوليوس اسكليبياديس بين المنصبين كذلك . وهما منصبان على أكبر قدر من الأهمية . Idios loges

وبالنسبة لاغريق مصر كان الامبراطور على استعداد لان يدخل من التعديلات على النظم القائمة كما فعل فى غير مصر ، بما يكفل له قيام ادارة محلية على درجة كبيرة من الكفاءة تستطيع أن تعمل بمرونة ورفق . ومن بين مدن مصر الاغريقية استحوذت الاسكندرية على اهتمامه اذ كانت مدينة لها ماضيها الهيلنستى ، ومواطنوها لا يرحبون بالحكم الرومانى ويطالبون بالحاح بمجلس الشورى ولو فى ثوب رومانى . وقد عامل الامبراطور المدينة بحذر وحزم ولم يستجب لطلبات ممثليها بعودة مجلس الشورى . ولعل الاسكندريين قابلوا عدم ثقة الامبراطور بهم بأن أضمروا فى أنفسهم عداء للرومان ولحكمهم كان يظهر ويستتر ويتخذ صورا شتى .

ومع ذلك فلم يكن من مصلحة الامبراطور أو الحكم الرومانى أن يسقط من حسابه أهمية العنصر الاغريقى سواء فى الاسكندرية أو فى خارجها . من ذلك مثلا أن الحصول على مواطنة الاسكندرية كان شرطا أساسيا للحصول على المواطنة الرومانية . وكان الاسكندرية كان من الصعب بالنسبة للادارة الرومانية التفرقة ، فى شعب خليط بين الاغريق وغير الاغريق . ومع ذلك فانه كان من الضرورى أن تتضح الفوارق بين

الطائفتين لسبب بسيط وهو اضطرار الحكم الروماني الى الاعتماد على الاغريق في التعيين في الوظائف ذات المسئولية ٠

وقد حلت المشكلة في عام ٤/٥ م ٠ بعد اجراء الاحصاء بظهور طبقة ارستقراطية متأغرقة جديدة تتكون من جماعتين : أولئك الذين كانوا في الريف يتمايزون بثقافتهم الاغريقية وأصلهم الاغريقي بحكم تخرجهم من معاهد التربية (الجمنازيا) والذين تطلق عليهم صفة خريجي معهد الجمنازيوم hoi apo gymnasiou) ٠ أما الطائفة الثانية فتضم سكان عواصم المديريات المتأغرقين وهم وان كانوا أقل امتيازا من مواطني المدن الاغريقية بالنسبة لعدم اعفائهم من ضريبة الرأس الا أنهم كانوا أفضل من المصريين لاعفائهم من جانب منها ٠ وكان على الاباطرة أن يفيدوا من هذه الطبقة في شغل المناصب الصغيرة في الخدمة المدنية ٠

ثالثا — عصر تيبريوس (١٤ — ٣٧ م) من المهم ملاحظة :

١ — تخفيض عدد الفرق العسكرية العاملة في مصر من ثلاث فرق الى فرقتين ٠
٢ — ساد الهدوء نتيجة لسياسة تيبريوس الذى كان يراقب أعمال الحكام في الولايات ٠
٣ — أدخل التعديلات على نظام جباية الضرائب بأن يقوم بجبايتها محصلون من قبل الخزانة العامة praktores
٤ — يؤخذ عليه أنه أدخل الى مصر نظام الخدمة الالزامية leitourgia
٥ — زيارة جرمانيكوس للاسكندرية ومخالفتها لتعليمات أوغسطس والبرديات المتعلقة بهذه الزيارة ٠

رابعا — الحدث البارز في عصر الامبراطور جايوس (كاليجولا) ٣٧ — ٤١ م :

هو بداية الصدام بين الاغريق واليهود في الاسكندرية بالفتنة الدامية التي حدثت عام ٣٨ م وسيستمر هذا الصدام حتى ينتهي بصدام بين اليهود والامبراطورية الرومانية بلغ ذروته في ثورة اليهود في كل من برقة وقبرص ومصر عام ١١٥ م على عهد الامبراطور تراجان ٠

خامسا ـ من المهم تبين بعض مظاهر عداء السكندريين لكل من الامبراطورية الرومانية واليهود وذلك فى ضوء برديات أعمال شهداء الاسكندرية .

سادسا ـ رسالة الامبراطور كلوديوس (٤١ ـ ٥٤ م) الى الاسكندريين ، بقسميها القسم الموجه للاسكندريين والذى يتحدث فيه الامبراطور عن النصح لهم بعدم الاحتكاك باليهود ، وعن حقوق المواطنة فى الاسكندرية وعن مجلس الشورى . والقسم الثانى المخصص لليهود والذى يؤكد فيه الامبراطور بصراحة أنهم غرباء عن المدينة وليس من حقهم التمتع بحقوق المواطنة بها .

سابعا ـ عصر الامبراطور نيرون (٥٤ ـ ٦٨)

١ ـ الاهتمام بالاسكندرية بحكم تحمس الامبراطور للحضارة الاغريقية
٢ ـ الحملة التى قيل أنه كان ينوى ارسالها الى النوبة ، لوقف توسع مملكة أكسوم وفرض حماية روما على مملكة مروى وصلة ذلك بتجارة مصر مع الشرق .

ثامنا ـ عصر الأسرة الفلافية (فسبسيان وتيتوس ودوميتيانوس) (٦٩ـ٩٦م)
عرف عام ٦٨ / ٦٩ م فى التاريخ الرومانى باسم عام الأباطرة الأربعة وانتهى بتغلب فسبسيان على منافسيه وكان قبل ذلك يحاصر أورشليم مع ابنه تيتوس فترك مهمة اخضاعها له . وسقطت المدينة فى عام ٧٠ م .

ومن أهم الأحداث بالنسبة لمصر :
١ ـ فرض ضريبة اليهود Ioudaion telesma على يهود مصر والامبراطورية .
٢ ـ زيارته للاسكندرية وصدامه مع السكندريين .
٣ ـ الاحترام الذى أظهره تيتوس للآلهة المصرية وخاصة ايزيس التى وجدت اهتماما خاصا من أسرة الفلافيين وسنعود الى مناقشة هذا الموضوع فى سياسة الرومان الدينية .

٤ — اهتمام الامبراطور بانشاء معبد فى مدينة بطلمية لعبادة الالهين سوتيروس باعتبار سوتر الاول مؤسسا للمدينة ولأسرة البطالمة •

الامبراطور دوميتيانوس (٨١ — ٩٦) :

نشطت فى عهده العبادات المحلية فى المدن المصرية ، ولنا أن نستنتج أن آلهة البلاد التى كان قد أوقفها الأباطرة الأوائل الى حد ما عادت الى الظهور من جديد • ويبدو أن أغسطس قصر مصادرته لأملاك المعابد والقيود التى فرضها على كهنة العبادات المصرى •

عهد الأباطرة نرفا (٩٦ — ٩٨) ، تراجان (٩٨ — ١١٧) ، هادريان (١١٧ — ١٣٨) :

ويمكن أن نلخص أهم الأحداث فى عهد هؤلاء الأباطرة الثلاث على النحو التالى :

١ — زيادة الاهتمام بالديانة المصرية • وقد شهدت احدى السيدات معبدا فى دندرة باسم الربة نيا أفروديتى Nea Aphrodite وهو اسم للامبراطورة أفلوطينا زوجة تراجان باعتبارها ربة مؤلهة مع متحور الربة المصرية • وشيد معبد للاله اسكليبيوس وهيجيا فى بطلميوسة •

٢ — وجهت اتهامات الى مكسيموس والى مصر والاسكندرية (١٠٣ — ١٠٧) فى عهد تراجان بالابتزاز de repetundis والربا واستغلال السلطة وافساد ثيون الشاب الاسكندرى الثرى (راجع التفاصيل فى كتاب مصر والامبراطورية الرومانية •

٣ — اشتعال ثورة اليهود فى كل من برقسة وقبرص ومصر عام ١١٥ • وقد أخمدها الامبراطور هادريان عام ١١٧ م • ولمعالجة الموقف الناشئ عن خسائر لحقت بالأرض والمزارعين أمر الامبراطور هادريان باجراء مراجعة عامة للايجارات التى يدفعها مستأجرو الأرض العامة وقد أدت المراجعة بالفعل الى تخفيض هذه الايجارات •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ زيارة هادريان لمصر فى النيل فى عام ١٣٠ وما ارتبط بذلك من أحداث هامة أهمها انشاء مدينة أنتينوبوليس Antinoopolis (الشيخ عبادة) تخليدا لذكرى أنطينوس Antinoos الذى غرق فى النيل أو ألقى بنفسه فيه قربانا لرضا الالهة عن الامبراطور وذلك خلال الرحلة التى قام بها الامبراطور الشخصى بانشاء المدن اذ أنشأ فى برقة أثر اخماد ثورة اليهود مدينة هادريانوبوليس • وانشاء هاتين المدينتين يعبر عن اهتمام الامبراطور البالغ بالحضارة الاغريقية • ذلك أن التدمير الذى لحق بمدينة قورينى فى برقة نتيجة ثورة اليهود هدد وجود الحضارة الاغريقية فكان لابد من انشاء مدينة هادريانوبوليس لتدعم هذا الوجود • وكذلك يمكن أن تقول أن انشاء انتينوبوليس هو من هذا القبيل • وربما ينهض دليلا على ذلك أنه نقل الى المدينة لتعميرها عددا من اغريق مدينة بطلميوسة ومن أغريق الفيوم من الطائفة المعروفة باسم ٦٤٧٥ هليلينى وكان هؤلاء اليونان فيما يرجح من سلالة المرتزقة من الاغريق المتأفرقين الذين استوطنوا الفيوم حيث كان البطالمة قد منحوهم اقطاعات زراعية • وسنرى عند دراسة دستور المدينة أنه سمح بزواج مواطنيها من سيدات مصريات • فضلا عن أنه منح المدينة دستورا على نسق دستور المدن الاغريقية • وقد جعل من أنطونينوس ربا محليا وقرنه بالاله أوزيريس Osirantinoos كما قرنه بالربة المصرية المحلية

وليوفر للمدينة الجديدة حياة اقتصادية مستقرة ربطها بميناء برنيقى على ساحل البحر الأحمر بطريق زوده بمحطات للمياه والحراسة وربما يكون هادريان قد أراد بهذا الطريق أن يغير اتجاه التجارة الهندية من الطريق القديم الذى كان يصل النيل بالبحر الأحمر عن طريق قفط • (قامت القبيلة البدوية التى تعيش فى الصحراء الشرقية المعروفة باسم Agrophagoi بإغارة على الوادى فطاردتها القوات الرومانية واستعادت ما سلبته القبيلة أثناء هذه الاغارة •)

وتمشيا مع سياسة الامبراطور فى تنشيط الحضارة الاغريقية ونشرها ذهب الى الاسكندرية وزار دار الحكمة (الموزيون) وأحاطه علمائها بعطفه ورعايته وأصلح من مبانى المدينة التى دمرت أثناء الثورة اليهودية وان كنا لا نستطيع أن نتبين هذه المبانى التى أمر بترميمها الا أنه كان من بينها مكتبة هادريان التى ورد ذكرها فى مرسوم أصدره حاكم مصر فى عام ١٢٧ بأن بناء المكتبة أعد مؤخرا ليكون دارا للمحفوظات. وربما كان هذا هو البناء الذى يبدو مصورا على عملات صدرت فى الاسكندرية تحمل صورة الامبراطور وهو يقف فى مواجهة سرابيس ويشير الى واجهة مبنى يحمل اسم الامبراطور ولما كان قد وضع المكتبة تحت رعاية سرابيس فلابد وأنه وضع أيضا دار المحفوظات تحت رعايته .

ولابد وأن تذكر الحفاوة التى قوبل بها الامبراطور فى كل من الاسكندرية وأثناء رحلته فى النيل التى قام بها بعد انحسار مياه الفيضان اذ مراعاة للتقاليد القديمة كان الملوك لا يبحرون فى النيل أثناء الفيضان وقد صحبته فى زيارته زوجته
سابينا وحاشيته وزاروا تمثال ممنون على الجانب الغربى للنيل ليستمع الى الاصوات المتصاعدة منه عند شروق الشمس وقد نقشوا اسماءهم على التمثال الى جانب ما كتبته بالبيلا Balbilla وصيفة الامبراطورة شعرا بهذه المناسبة .

أنطونينوس بيوس	١٣٨ – ١٦١
ماركوس أوريليوس	١٦١ – ١٨٠ }
لوكيوس فيروس	١٦١ – ١٦٩ }
كمودوس	١٨٠ – ١٩٢

مر عهد الامبراطور انطونينوس بيوس بهدوء فيما عدا ثورة قامت فى الاسكندرية قتل فيها الوالى مما أثار سخط الامبراطور ، ولكنه زار المدينة حيث شيد حلبة للسباق hippodrome والبوابتين ، بوابة الشمس وبوابة القمر وأحدهما عند بداية الطريق الرئيسى الذى يخترق الاسكندرية والأخرى عند نهايته .

وفى عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس قام بالثورة عناصر مصرية فى أحراش الدلتا والتى تعرف باسم (Bucolia) حيث قاد الحركة كاهن يدعى ايذيـــروروس وجمع حوله قوة كبيرة • وتنكر هو وأتباعه فى زى النساء وخدعوا قائد السرية الرومانـــى بأن تظاهروا بأنهم قادمون لدفع الضرائب المستحقة عليهم وبعد أن قتلوه ذبحــــوا أحد الحراس وقدموه قربانا وأكلوا من لحمه وأقسموا على جثته يمين الاخلاص والوفـــاء وهزمت القوات الرومانية وأوشكت الاسكندرية نفسها أن تقع فى أيدى الثوار • وكانت الفرصة متاحة لنجاح الثورة اذ كانت الفرقـة الثانية Triana .II قد نقلت الى الدانـوب لمواجهة هجوم القبائل Marcamanni • وكان لابد من استقدام قوات من سوريـــا بقيادة حاكمها أفيديوس كاسيوس• ولم يواجه الثوار فى معركة حربية وأوقع بينهم الفتنـــة وفرق بين صفوفهم حتى تسنى له اخضاع جماعاتهم الواحدة بعد الأخرى •

ثم وان ثورة المزارعين هذه لتعبر عن سخطهم على الحكم الرومانى ووسائلـــه ويأسهم من امكان انتعاش الزراعة أو أنها تعود عليهم بربح يتكافأ مع الجهد الشـــاق الذى يبذلونه •

ولم يمض وقت طويل حتى قامت ثورة عسكرية كان على رأسها أفيديوس كاسيـــوس نفسه • ويروى ديون كاسيوس أنه كان يتآمر مع الامبراطورة فاوستينا بهدف الاستيلاء علـــى الحكم بعد موت أوريليوس• وما أن بلغ مسامعه نبأ كاذب عن وفاة الامبراطور حتى طلب الى جنوده المناداة به امبراطورا • وربما كان ذلك قد حدث فى ربيع عام ١٧٥ • وما لبثـت الولايات الشرقية أن اعترفت به ووصلتنا بردية مؤرخة باسمه فى اليوم الثالث من مايـــوه وفى الواقع أن هذا القائد الذى كان موضع ثقـة روما رغم أصله السورى متى أنها عهدت اليه بالاشراف على أمور الشرق استطاع أن يحصل على تأييد المصريين الذين رأوا فى تمـــرده نوعا من شفاء حقدهم على روما ثم انه كان ابنا لأحد ولاة مصر السابقين • وكان الامبراطور أوريليوس مشغولا بقتال قبائل Iazyges فاضطر الى عقد تسوية على عجل حتى يستطيع أن يبادر على الذهاب الى مصر • وعند وصوله الى الشرق وجد أن أنباء زحفه كانت قـــد تسببت فى مصرع كاسيوس على يد أحد مساعديه • وكذلك قتل على يد الجند ـــــــ

الاسكندرية مايكيانوس Maecianus ، وربما كان ابنا له ، وكان قد عهد اليه بحكم المدينة • وأصدر الامبراطور قراره بالعفو عن الاسكندرية وعن أسرة كاسيوس • وقد سجلت زيارة الامبراطور للاسكندرية فى نقش أهدته له الفرقة العسكرية • وكان الامبراطـــور قد ظهر فى المدينة وهو يرتدى زى الفلاسفة • وفى عهد أبيانوس أحد زعماء الاسكندرية فى حوار سجلته بردية من أعمال شهداء الاسكندرية رأى الاسكندرية فيه اذ خاطـــب أبيانوس الامبراطور كمودوس بن الامبراطور أوريليوس قائلا له أنه طاغية بعكس والـــده أوريليوس المؤله لم يكن امبراطورا وكان فيلسوفا وزاهدا وطيبا •

وهذه البردية تكشف الى جانب ذلك عن مواجهة بين زعماء الاسكندرية والامبراطور كمودوس الذى انتقم من أسرة كاسيوس ولم يعبأ بموقف أبيه من أفرادها وانتقم أيضا من كثير من شخصيات الاسكندرية البارزين وقد اتهم أبيانوس الامبراطور بأن الرومان يستولـــون على قمح مصر ويبيعونه فى الخارج بأربعة أمثال ثمنه •

أسرة السيفيريـــين :

وبنهاية عصر كمودوس تدخل مصر فى ظل الحكم الرومانى فترة تتميز بالتدهـــور والانهيار عمت أيضا ولايات الامبراطورية وشهد عام ١٩٣ ما سبق أن شاهده عام ٦٨ من تصارع بين قادة الجيوش الرومانية على الوصول الى السلطة والتربع على عرش الامبراطورية

والطريف أن برديات مصر سجلت اسم بيرتيناكس أحد المتنافسين على عـــرش روما وكانت تحتفل بأمر من الحاكم الرومانى بتوليته العرش مدة ٢٥ يوما أثناءها كـــان الامبراطور قد أغتيل فى ٢٨ مارس ١٩٣ ولكن الخبر لم يبلغ مصر الا يوم ١٩ مايو مـــن نفس العام •

وأيد المصريون نيجير Niger القائد الرومانى فى سوريا وكان المصريـــون

قد عرفوه وهو يقود الحامية الرومانية فى Syene والتى كانت تحرس حدود مصر الجنوبية ضد القبائل الصحراوية • وحدوا له حزمه مع جنوده ومنعه لهم من ارتكاب أعمال النهب والسلب ولذلك ما أن نادت به الفرق السورية امبراطورا حتى بادر الجيش الرومانى فى مصر ومعه المصريون الى تأييده •

واشتد الصراع بين نيجير وسبتميوس سيفيروس وكانت مصر هدفا لكل منهما لأن سيطرة أحدهما عليها يحرم الآخر ميزة كبيرة نظرا لأهميتها بسبب قمحها الذى يستطيع المتحكم فيه أن يفرض المجاعة على روما لذلك سارع سيفيروس الى افريقيا ليحول دون تقدم نيجير اليها عن طريق مصر وبذلك يكون تحت تصرفه أكبر مصدرين للقمح فى العالم القديم • ومن المحتمل أن يكون سيفيروس قد احتل مصر عن طريق افريقيا وذلك قبل أن يخوض معركته الأخيرة ضد نيجير فى آسيا الصغرى •

وفى العام الثامن من حكمه قام سيفيروس بزيارة مصر متخذا نفس الطريق الذى سلكه قبله الامبراطور هادريان فدخل مصر عن طريق بلوزيوم قادما من فلسطين وقضى بضع أيام فى الاسكندرية ثم رحل الى طيبة • وقد تكون هذه زيارة أى سائح رومانى لمصر ولكن صدى رحلة هادريان يمكن أن نلمسها فى النقود التى سكت بالاسكندرية تخليدا لذكرى زيارة الامبراطور سيفيروس للمدينة اذ نقشت صورته على نحو ما نقشت به صورة هادريان وحذا حذو هادريان أيضا فى انشاء كثير من المبانى فى الاسكندرية فشيد معبدا لكوبيللى Kybele ، وأنشأ حمامات ومعبد التربة و Pantheon

واذا كان هادريان قد أنشأ مدينة أنتينوبوليس ومنحها مجلسا تشريعيا فان سيفيروس منح الاسكندرية وعواصم المديريات • ولكن لم يكن هدف الامبراطور دستوريا بالمعنى المفهوم بل انه كان يهدف الى تقوية النفوذ الرومانى فى ثانى الشكل الاغريقى للمدن وكان يهدف أيضا الى تحسين جهاز تحصيل الضرائب ذلك أنه اختار لعضوية المجالس الشخصيات البارزة من سكان المدن أو عواصم المديريات ليشركهم مع الحكومة المحلية فى جباية الضرائب وتحمل الالتزامات قبل الخزانة العامة •

وقد حال مرض الامبراطور دون الذهاب الى النوبة وان كان قد شيد فى ابريم بناء يعود الى عصره • والغرض من تشييد هذا المبنى غير واضح •

وقد تأثرت الأوضاع فى مصر بما كان يجرى فى شتى أرجاء الامبراطورية الرومانية • من ذلك مثلا أن سيفيروس قد أدخل بدعة تجنيد العناصر الجرمانية فى الجيش • فانصرف الرومان عن خدمة الجيش الرومانى وألف البعض منهم عصابات مسلحة تجوب الولايات لتكسب رزقها عن طريق قطع الطرق وارتكاب أعمال السلب والنهب • وفى مصر اصدروا اليها أكويلا قرارا بمطاردة هذه العصابات • وأصدر خلفه تعليمات مشددة بضرورة الاستمرار فى مطاردتهم وعقاب الذين يحتمون بها ومكافأة من يبلغون عنها •

كاراكلا	٢١١ ــ ٢١٧	وهما ولدا سيفيروس
جيتا	٢١١ ــ ٢١٢	

لعل أهم حدث يرتبط بعصر كاراكلا ليس فقط بالنسبة لمصر بل للامبراطورية كلها هو اصداره دستوره المعروف باسم دستور كاراكلا Constitutio Antoniniana أو Antoniniana de Civitate .... وذلك فيما يرجح البعض النصف الثانى من عام ٢١٤ م والذى يقضى بمنح حقوق المواطنة لكل رعايا الامبراطورية من الاحرار مع استثناء طائفة أطلق عليها اسم dediticii المستسلمين أو الخاضعين والاستثناء هنا ليس من حقوق المواطنة ولكن من امتياز آخر لا نستطيع الوقوف على معرفته لعيب فى البردية التى تضمنت نص القرار فى صيغته الاغريقية • وواضح أن منح المواطنة شمل مواطنى المدن الاغريقية وسكان عواصم المديريات وان كان الكثيرون يرجحون أن يكون قد شمل المصريين جميعا بل واليهود أيضا وان كان المصريون عند الفتح الرومانى قد اعتبروا خاضعين dediticii • ويتساءل البعض ان كان هذا الوضع قد استمر طوال الحكم الرومانى بل ويتساءلون عن حقوق المواطنة الرومانية نفسها وهل ظلت محتفظة بقيمتها • على أى حال فان ما فاز به المواطنون الجدد ليس بالشئ الكثير اذ أرهقوا بمزيد من الضرائب التى كانت تفرض على المواطنين

الرومان • فضلا عن أن هذا الدستور الغى تقريبا الفوارق بين طبقات السكان فى مصر •

وقام كاراكلا الذى زار مع أبيه مصر عام ٢٠٠ م بالمجئ اليها مرة أخرى عام ٢١٥ وتوجه لزيارة الاسكندرية • ولكن هذه الزيارة لم تحمل للمدينة الا الشر والأذى لأن أهلها بالرغم من دستوره لم يتحملوا ظهوره فى المدينة وهو يمشى الخيلاء مقلـــــدا للاسكندر وأخيل وسخروا منه وعرضوا به لقتله أخيه جيتا • وكان انتقامه رهيبا عندما دبـر مذبحة راح ضحيتها شباب المدينة وأباح المدينة لجنوده فقتلوا عددا كبيرا من سكانها • وأمر بطرد جميع المصريين من المدينة فيما عدا بعض طبقات التجار والعاملين فى نقـل المحاصيل وكانت حجته فى ذلك أنه لا يريد أن يتيح للعصابات الفرصة للتسلل الـــى المدينة • وأغلق الملاهى والمسارح وأقام مراكز للحراسة بالمدينة •

ماكرينوس Macrinus ٢١٧ ـ ٢١٨ :

وكان قائدا للحرس البريتورى وكان قد دبر مصرع كاراكلا ونادى به الجنـــــد امبراطورا وكان أصلا من موريتانيا •

وقد تجددت الاضطرابات فى الاسكندرية مرة أخرى خلال فترة الصراع بين هـذا الامبراطور وبين Elagabalus من أسرة السيفيريين • والمهم أنه فى عصر هـــــذا الامبراطور عين اثنان من أعضاء مجلس الشيوخ أحدهما واليا على مصر والآخر فى منصب Dioiketes وهذه هى المرة الأولى التى يخرق فيها مبدأ أغسطس بعدم جـــواز اختيار الوالى الا من طبقة الفرسان ومن الغريب أن الامبراطور نفسه كان من طبقـــة الفرسان وعلى غير العادة وصل الى عرش الامبراطورية دون أن يمر بعضوية مجلـــس الشيوخ •

فاذا كان عصر الامبراطور سيفيروس اسكندر ٢٢٢ ـ ٢٣٥ وهو الذى خلف الامبراطور الجابالوس وكلاهما من أسرة السيفيريين يشير الى حدث له دلالته وهو أن ايباجاثوس Epagathos قاد ثورة نظمها الحرس البريتورى فى روما فأرسله الى مصر وعينه حاكما عليها كما لو كانت مصر قد أصبحت منفى للمتمردين ٠

وهذا الذى فعله سيفيروس وما سبقه اليه ماكرينوس من تعيين اثنين من طبقة الشيوخ فى وظيفتين ساميتين فى مصر انما يعبر بوضوح عن تدهور الأوضاع الاقتصادية فى مصر ولم تعد مخزنا للغلال فلم يعد هناك ما يخشى منه من مخالفة القواعد التى وضعها أغسطس لحكمها الى جانب أنه لم يعد هناك ما يغرى بالاستيلاء عليها ٠

ومن الجائز أن يكون الامبراطور سيفيروس قد قام بزيارة مصر اذ نعرف من ديون كاسيوس ، وهو المؤرخ الذى أعدمه الامبراطور ، أنه فى حفل جرى فى الاسكندرية ٠ الحق الاسكندريون بالامبراطور اهانة بالغة حينما تصايحوا بأنه كبير الكهنة السورى (اشارة الى أسرته السورية التى ينتمى اليها) ٠ وربما تشير الى هذه الزيارة أيضا صورة ماميا الامبراطورة الأم وهى تحمل فى يدها نموذجا لبوابة على احدى قطع العملة الصادرة فى الاسكندرية ٠

عصور الاباطرة ماكسيمينوس ٢٣٥ ـ ٢٣٨

جورد يانوس الاول
جورد يانوس الثانى
بالبينـوس } ٢٣٨
بوبينـوس

جورد يانوس الثالث ٢٣٨ ـ ٢٤٤

لم يكن لمصر كولاية فقدت أهميتها أن تلعب أى دور فى اختيار أحد هــــؤلاء الاباطرة الذين تتابعوا بعد سفيروس اسكندر • وكان الموظفون الرومان فى الاسكندريــة على استعداد للاعتراف بكل من يستطيع أن يصل الى العرش • ومن ذلك أنه عندما نودى بكل من جورد يانوس الاول والثانى امبراطورا ضربت باسمهما النقود فى الاسكندرية بالرغم من أنه لم تؤرخ باسمهما الوثائق المصرية • وكذلك ذكر اسم كل من بالبينوس وبوبينوس فـــى البردى والاستراكا والنقود • واسم جورد يانوس الثالث فى بعض الوثائق •

الامبراطور دقيـوس Decius ٢٤٩ ـ ٢٥١

كانت المسيحيـة قد انتشرت فى مصر واعترفت بها حكام مصر كحقيقة واقعة وبذلـت بعض المحاولات لوقف انتشارها خلال القرن الثانى ولكن أول هجوم منظم ضد المسيحيــة حدث فى عصر دقيوس • والزم الجميع بتقديم القرابين وحرق البخور • ويمنح من يقـــوم بهذه الاعمال شهادة رسمية •

وفى عهده أغارت قبائل بليميس Blemyes النوبية على الحدود الجنوبيـــة وهذه أول اغارة يقومون بها منذ عصر أغسطس • وتزال السلطات المحلية فى الفنتـــين تسيطر على المنطقـة المعروفة باسم Dodekaschoinos • ولعله كان لاغارة قبائـــل البليميس ارتباط بتوسع مملكة أكسوم التى استقرت فى وادى النيل على حساب مروى فأخـذت تضغط على القبائل النوبيـة وتدفع بهم الى الحدود الرومانية •

وتتابعت الأحداث بالنسبة للامبراطورية • وقد أرغم دهماء الاسكندرية Aemilianus والى مصر أن يقبل منصب الامبراطور وقد احتل طيبة وطرد القبائل المغيرة وكان يعد العدة لحملة ضد مملكة اكسوم حينما جاءته الأنباء بمجئ Theodo- tus ثيودوتس من روما ليعيد السيطرة الى السلطة الامبراطورية • وكانت الاسكندرية ميدانا للقتال بينهما وتهدم الكثير من مبانيها واجتاحتها الأمراض والأوبئة ونقص سكانها الى الثلث •

ويبدو أن أميليانوس لم يعلن نفسه امبراطورا ولم يتقلد سلطات الامبراطور انما كل سلطاته وتصرفاته انما كانت مستمدة من وضعه كحاكم أو والى ومن المرجح أن يكون احتل طيبة باسم الامبراطور جاليينوس Gallienus (٢٥٣ ـ ٢٦٨) ولكنه بعد أن نجح فى اعادة الأمور الى وضع مستقر لصالح السلطة المركزية دفع دفعا الى الثورة •

كلوديوس جوثيكوس ٢٦٨ ـ ٢٧٠ :

كان سبب الاضطرابات فى مصر نمو قوة زنوبيا أرملة أذنية Odenathus أمير بالميرا (تدمر) • وكان الامبراطور جاليينوس قد عهد ادارة الولايات الشرقية الى اذنية ولا نعرف ما اذا كانت تلك الادارة قد شملت مصر كذلك وليست هناك من وثائق تشير الى أذنية • ولكن فى العام الثانى من حكم كلوديوس دعا مصرى يدعى تيماجينيس أهل بالميرا للمجئ الى مصر وأرسلت زنوبيا جيشا قوامه سبعون ألف مقاتل تحت قيادة

واضطر الامبراطور أوريليان Ourelian (٢٧٠ ـ ٢٧٥) الى ايجاد حل لمشكلة التدمريين بأن اعترف رسميا أن Vaballathus (وهب اللات) ابن زنوبيا شريكا له فى حكم الشرق • ولكن الحرب ما لبثت أن نشبت من جديد بعد أن

أعلن وهب اللات نفسه حاكما مستقلا عن امبراطور روما • ونجح الامبراطور فى استرجاع الاسكندرية وترك مهمة اخضاع بقية مصر للقائد بروبوس Probus واضطرت قوات تدمر الى اخلائها •

وما لبثت الاسكندرية أن ثارت بزعامة فيرموس Firmus وكان تاجرا اغريقيا من سلوقيا ويعد من أغنى تجار الاسكندرية • ومع أنه نسق عملياته مع كل من تدمر وقبائل Blemyes النوبية اذ كانت له علاقات معهم تتعلق بتجارة النهر مع افريقيا •

أخضع أورليان أولا تدمر ثم زحف الى الاسكندرية وأرغم الثوار على الخضوع بعد أن حاصرهم فى أحد أحياء المدينة • وحل هذا الحى دمار شديد كاد أن يقضى عليه وعلى أسواره •

ونجح بروبوس فى طرد القبائل النوبية وكانت قد وصلت الى بطلميوسة وقفط •

وقبل أن يكمل بروبوس مهمته فى اعادة الهدوء الى الصعيد كان قد أصبح امبراطورا بعد وفاة أورليان وتمسك به جنوده واستمر حكمه من ٢٧٦ — ٢٨٢ • واضطلع بمسئولية انقاذ أوضاع مصر المتدهورة ذلك أن أعباء الضرائب حملت المزارعين على ترك منازلهم وتكوين عصابات أشاعت النهب والسلب وتحولت الأراضى الى أراض مهجورة لفشل الحكومة فى المحافظة على قنوات الرى وان كان بروبوس قد استخدم جنوده فى هذه المهمة •

الامبراطور دقلديانوس ٢٨٤ — ٣٠٥ :

لم تفلح جهود بروبوس حدا لغزوات البليميس التى تكررت وعالج دقلديانوس الموقف بأن أغراهم بالمال ليكفوا عن شن الهجمات على جنوب مصر وعمل على سحب الحاميات الى الشمال الى أسوان وعمل على توطين قبيلة تدعى نوباداى Nobadae وكانت مضاربها فى الصحراء على الاستقرار فى الوادى ولتكون بمثابة حامية عسكرية •

والأهم من هذا النظم الادارية التى استحدثها بأن قسم الامبراطورية الى ١٢ دوقية Diocesis يحكم كل منها حاكم يحمل لقب كونت Comes من بينها دوقية الشرق وقد شملت كليكيا وسوريا وفلسطين ومصر وقورينايئة . قسم مصر فى عام ٢٩٧ ـ الى ثلاث ولايات هى :

١ ـ مصر الجوبيترية Aegyptus Jovia وتشمل غرب الدلتا والاسكندرية وسميت فيما بعد Aegyptus فقط .

٢ ـ مصر الهرقلية Aegyptus Hercul وهى شرق الدلتا واقليم الهيتانوميا أومصر الوسطى وسميت فيما بعد أوغسطمنيكا Augustamnica

٣ ـ اقليم طيبة Thebais

وأعطى الولاية الأولى ة مصر الجوبيترية وضعا ممتازا وعهد بحكمها الى حاكم يحمل اللقب القديم Praefectus Aegypti له سلطة أعلى من سلطة حاكمى الولايتين الاخريين Praeses . وعهد بقيادة الجيش الرومانى الى قائد يحمل لقب وبذلك لم يعد لمصر ذلك النظام المميز لحكمها والذى انفردت به .

ويبدو أنه أقدم على تقسيم مصر على هذا النحو الى هذه الولايات الثلاث الثورة التى أشعلها فى الاسكندرية عام ٢٩٦ ضابط رومانى يدعى لوكيوس دوميتيوس دوميتيانوس والذى عرف باسم Achilleus وأعلن نفسه امبراطورا مما اضطر دقلديانوس الى المجئ بنفسه لقمع الثورة وحاصر الاسكندرية لمدة ثمانية شهور ثم اقتحمها عنوة وترتب على ذلك تدمير جزء كبير فى أعمال النهب التى تلته .

وأثناء الحصار كان الامبراطور قد استحدث اصلاحه النقدى المعروف حتى أن خصمه اضطر الى سك النقود على نفس الاساس الجديد الذى سكت عليه نقود الامبراطورية .

وقد تأثر الوضع فى الاسكندرية دون شك بالثورات المتكررة التى قام بها ايميليانوس وفيرموس وأخيليوس ، وفقدت مركزها الممتاز فى مجال التجارة نتيجة لظهور مملكة أكسوم . وقد اضطر الامبراطور الى تخصيص جانب من القمح المخصص لروما لاطعام الاسكندرية مما جعلهم يقيمون تشريفا له العمود المعروف الآن باسم عمود بومبى أو عمود السوارى .

ولكن مع ذلك كان عصر دقلديانوس علما على اضطهاد المسيحية التى كان لا يمكن أن توافق على تقديم القرابين الى شخص الامبراطور الذى يفترض أن يكون فوق مستوى البشر . واعتبر المسيحيون عام ٢٨٤ عام الشهداء .

دخل الامبراطورية من مصر

لم يذكر فى مصادر العصر الرومانى على وجه التحديد الاموال والكنوز التى صادرها أوكتافيانوس عند دخوله الاسكندرية • ولكن من المعروف أن من هذه الأموال استطاع أن يرضى الجند بما منحه لهم من أراضى وأموال وأن ينفق عن سعة فى المنشئات العامة وأن يثرى نفسه وأنصاره • وفى تقدير أحد الباحثين أن روما كانت تحصل من مصر على ربح بليون من الدنانير الرومانية •

وفى تقدير اوريليوس فيكتور (حوالى عام ٣٧٠ م) (وهو مؤرخ رومانى كتب تاريخ روما من عصر اغسطس حتى عصر قنسطنيوس الثانى) أن مصر كانت تقدم لروما فى بداية عصر أغسطس كل سنة عشرين مليون موديوس (والموديوس مكيال رومانى) ، ٢٠ مليون بهذا المكيال = ٦ مليون أردب ، والأردب الرومانى = $\frac{1}{6}$ الأردب المصرى • واذا قارنا ما ذكر فى مصادر العهد القديم أن دخل مصر من القمح على عصر فيلادلفوس كان مليونا ونصف مليون أردب فان ذلك يعنى أن الرومان كانوا يفضلون أن يحصلوا على الضرائب نوعا • أو أن الرومان زادوا من الضرائب المفروضة على الأرض •

ولعل الجزية كانت بواقع أردب أو أردب ونصف لكل أرورة (والأرورة حوالى نصف فدان مصرى) • واذا كانت مصر قد أعطت لروما فى بداية عصر أغسطس ٦ مليون أردب فلا بد وأن يكون تقديرا منخفضا ذلك لأن حالة الأرض الزراعية فى أواخر عصر البطالمة كانت سيئة نتيجة لهرب المزارعين أو اهمال قنوات الرى ولا بد وأن نتصور أنه مع تقدم الزمن بالحكم الرومانى بعد مصادرة جانب من أراضى المعابد وعودة قنوات الرى الى حالتها الطبيعية زاد مقدار الجزية ذلك أنها بلغت على عصر جستنيان $\frac{2}{3}$ ٢٦ مليون موديوس •

وقد ذكر تيبريوس الوالى أنه صدر من القمح لحساب Annona أكثر مما فعل سلفه ولكن ليست لدينا شواهد على أى زيادة فى الضرائب• وفى عهد الامبراطور نيرون زودت مصر روما بقمح يغطى حاجتها لمدة أربعة شهور فى السنة ولو كنا نعرف مقدار ما تستهلكه العاصمة فى ذلك الوقت لامكننا تقدير ما قدمته مصر لروما •

وفى عهد الاسرة البولية الكلودية كان الرومان يمتلكون عددا كبيرا من الضياع الخاصة • ولا تعرف الى أى حد كانت معفاة من الضرائب• نعرف من أحد النقوش أن ضيعة Agrypina أجريبينا وروتيليا Rutilia كانت معفاة من الضرائب بعد أن آلت الى الامبراطور • وربما كانت الأراضى التى كانت فى حوزة الأسرة الامبراطورية وتلك التى منحت للشخصيات المقربة للامبراطور معفاة هى الأخرى من الضرائب • وبينما لا توجد شواهد على امتلاك أغسطس لضياع فى مصر ، الا أنه من المرجح أن ضياع Maecenas وغيره آلت اليه قبل نهاية عصره ، ولكن فى عهد نيرون كانت معظم الضياع ان لم يكن كلها قد آلت الى ملكية الامبراطور مما زاد فى موارد مصر • وقد أوجد نيرون أو فسباسيان ادارة الضياع الامبراطورية (Ousiakos logos) لتتولى الاشراف على ادارة الضياع التى ورثها الامبراطور أو صادرتها الدولة • ويدفع مستأجروها ايجارات مرتفعة • وقد حاولت الحكومة فى القرن الثالث ادارة هذه الأراضى ادارة مباشرة بهدف زيادة الدخل ولكن تكاليف الادارة ابتلعت محصولها من القمح • وهذه الأراضى الامبراطورية كانت موزعة بين زراعة القمح وزراعة الخضروات والكروم •

وفى نهاية القرن الأول من الواضح أن أراضى مصر الزراعية كانت تدفع الضرائب عينا أو نقدا • وفى القرن الثانى تلاحظ فرار المزارعين من الأرض فى حين أن ثمن القمح كان فى ارتفاع مطرد • وتفسير هذا التناقض ليس بالسهل فالفلاح لا يستطيع أن يحصل على مورد رزقه من الأرض • ولنا أن نفترض أن قدرة مصر على الانتاج الزراعى قد تناقصت بسبب اهمال قنوات الرى أو أن عبء الضريبة قد تزايد مما ترتب عليه أن كمية القمح الحر المعروضة فى السوق كانت قليلة •

واذا صدقنا ما وصلتنا من معلومات من عصر كمودوس فان روما كانت تعانى القلق من أن مصر لم تعد قادرة على أن تمد روما بنصيبها فى Annona ، وكان على أسطول افريقيا classis Africana مسئولية حمل القمح من افريقيا .

وقد وصلتنا تقارير قليلة من القرن الثالث ، ولكن هناك شواهد على ارتفاع القيمة الايجارية للأراضى الملكية . وكما أسلفنا ، بذلك بعض المحاولات ادارة الضياع الامبراطورية بطريقة مباشرة عن طريق الوكلاء الخصوصيين على أمل زيادة موارد الخزانة وعلى أى حال فان الفوضى التى لازمت العصر وتدهور أحوال الفيوم أثرت فى الانتاج الكلى للأرض الزراعية . وقد أضاف الامبراطور أورليان أوقية الى وزن الرغيف الرومانى الذى كان يوزع على الأهالى . وقد اهتم بروبوس Probus باصلاح نظم الرى التى أهملت فى فترة الفوضى . وكنتيجة لذلك حدث انعاش قرى الفيوم وكانت الجزية العينية عبارة عن القمح والشعير والعدس وأحيانا كان يجمع التين والزيت والبلسم ولكن بكميات صغيرة ولكن القمح كان أهم الضرائب العينية .

أما فيما يتعلق بالضرائب النقدية فمصادرنا غير محددة ومتضاربة الى حد ما . ونرجح حتى نتجنب الوقوع فى الخطأ أن دخل أغسطس لم يكن أقل من الدخل الذى كان يحصل عليه البطالمة الاواخر . والمعروف أن جالوس اضطلع باخماد الثورات فى مصر العليا وأن سبب هذه الثورات هو سخط المصريين على الطريقة القاسية التى كانت تجمع بها الضرائب أو أن الضرائب قد زيدت .

وكانت الضرائب التى تجمع فى مصر تكون أهم مصدر من مصادر الدخل بالنسبة للحكومة الرومانية وخاصة فيما يتعلق بالادارة الداخلية لمصر . ومن بينها الضرائب المعروفة باسم Merismoi بمعنى الضرائب التى توزع قيمتها على كل سكان قرية معينة بأنصبة متساوية ولا دليل كاف على وجودها فى عصر البطالمة .

وقد ذكر ديودوروس أن ملك مصر (ربما كان بطلميوس أولتييس) كان يحصل من مصر على دخل قيمته ٦٠٠٠ تالنت • ومن ناحية أخرى فان استرابون الذى كان يرافق الحاكم جالوس ، كتب يقول أن شيشرون يقول ان جزية مقدارها ١٢٫٥٠٠ تالنت تدفع كل سنة للملك أولتييس • واذا كان هذا الملك الذى أدار شئون مصر أسوأ ادارة ومع ذلك كان يحصل على هذا القدر الكبير من الدخل فماذا تقول بخصوص الدخل الحالى الذى يدار بدقة بالغة والتجارة مع الهند قد زادت واتسعت بدلا من هذا العدد القليل من السفن التى كانت تستطيع اجتياز بوغاز باب المندب أصبحت هناك أساطيل تجارية وصلت بتجارة مصر الى آفاق بعيدة فى الشرق وجلبت معها سلعا متنوعة كما نقلت الى الأسواق الخارجية الكثير من السلع المصرية وبهذا كانت مصر هى الرابحة اذ كانت تحصل الرسوم على الصادرات والواردات هذا الى جانب الاحتكارات التى كانت فى يد الحكومة • وفى فترة متأخرة فى بداية العصر المسيحى بلغ دخل مصر ٧٥ مليون دراخمة • وهذه المبالغ ليست كلها حصيلة الضرائب المباشرة بل كان يدخل ضمنها المكوس الجمركية واستغلال الموارد الطبيعية مثل المناجم والمحاجر والاحتكارات • ولا نستطيع أن نقطع أن كان قد دخل فى هذا التقدير قيمة القمح المصرى المشحون الى روما •

ومهما كانت قيمة الدخل التى حصل عليها أغسطس من مصر فى بداية عصره الا أن هذا الدخل كان فى ازدياد مستمر نتيجة للسياسة الاقتصادية التى وضع أسسها والتى تهدف الى ادارة شئون البلاد ادارة سليمة • وأولى الرى اهتماما بالغا باشراك الجند فى تنظيف القنوات • ولنا أن نفترض أن عدد السكان فى الريف زاد زيادة سريعة وانعكس أثر ذلك على زيادة دخل الضرائب • وربما كان أغسطس قد فرض ضرائب جديدة خلال عصره وزاد من نسبة بعضها • وقد استمرت تجارة مصر مع الشرق وازدهرت الاسكندرية بوصفها مركزا هاما من مراكز الصناعة وتزود العالم الغربى بسلع الترف مثل الفلفل ، والكتان ، والزجاج وسلع أخرى كانت مصر تحتكر انتاجها •

واستمرت الزيادة فى التجارة والصناعة فى عهد تيبريوس نتيجة لسياسته الادارية اليقظة • وعندما أرسل أيميليوس ركتوس والى مصر أموالا أكثر مما هو مقدر من دخل مصر قال الامبراطور قوله الذى أثبته المؤرخ ديون كاسيون " أننى أوندتك لتجز صوف خرافى لا لتسلخ فراءها " •

وفى عصر كلوديوس انفتحت مناجم جديدة • واكتشف فى عصره الطريق الى الهند فيما يظن •

وثمة شاهد آخر على دخل مصر فى عصر نيرون نجده فيما رواه يوسف عن محاولة أجريبا الملك اليهودى لاقناع اليهود بعدم القيام بالثورة ضد روما فى عام ٦٦ • وأظهر ذلك الملك يأسه من هذه المحاولة بعقد مقارنة بين دخل يهوذا ودخل الامبراطورية وذكر أنه ما يصل الى روما من مصر فى شهر واحد يزيد على ما تؤديه يهوذا للخزانة الامبراطورية فى عام بأكمله • ولا نعرف مقدار دخل يهوذا ولكننا نعرف أن دخل الملك هيرود كان حوالى ١٢٠٠ تالنت واذا كان يوسف يستعمل التالنت اليهودى فان مقدار ما كان يدخل خزانة هيرود ١٨٠٠ تالنت أتيكى • ويمكن أن نقدر أن دخل روما من يهوذا فى عام ٦٦ كان حوالى ٨ مليون دراخمة • وعلى هذا الأساس يمكن أن نقدر دخل مصر بمائة مليون دراخمة فى ذلك الوقت بما يساوى ٤٠٠ مليون بالدراخمات المصرية واذا كان سكان مصر باستثناء الاسكندرية ٧ ملايين نسمة فقط فان هذا المبلغ ضخم بلا شك • ومع هذا فانه يجب أن نتذكر أن هذا المبلغ لم يكن ليجبى من المصريين بوصفها جزية مفروضة على الرؤوس • فالرسوم الجمركية المدفوعة التى فرضت على السلع الشرقية انما تقع على المستهلك الرومانى بالرغم من أنها كانت تحصل فى الموانى المصرية •

وكذلك فان المكوس التى كانت تجبى على المنتجات المصرية مثل الورق والعطور والملابس الكتانية اضافت الى ثروة البلاد بالرغم من أنها لم تكن لترهق المنتج • ويبدو

أن الثروة المعدنية للبلاد قد أعطت انتاجا كاملا • ومن المرجح أن الدخل من مصر وصل الى أقصى حد فى النصف الثانى من القرن الأول •

وقد زاد فسباسيان فى دخل الخزانة من مصر ليواجه نفقات حملته فى الغرب ولكن بدون أن يلجأ الى فرض ضرائب جديدة • وقد أضافت ضريبة اليهود الى خزانة الامبراطورية ٨ ملايين دراخمة مصرية اذا كان عدد اليهود فى مصر مليون يهودى وليس هناك ما يدل على استمرار دفعها بعد عهد تراجان وربما كان هادريان قد ألغاها •

وفى عهد الفلافيين ظهرت ضرائب صغيرة فى ايصالات الضرائب ولكن بعض هذه الضرائب كان يهدف سد نفقات الادارة المحلية • والبعض الاخر لسد النقص فى ضريبة الرأس أو ضرائب الصناعات • وهذه الزيادات أضافت القليل الى دخل الامبراطورية من مصر • ولكنها أفادت فى مواجهة نفقات الادارة المحلية •

وفيما عدا هذه التغييرات الصغيرة فانه لم يحدث تغيير جوهرى فى قيمة الضرائب خلال القرنين الأول والثانى •

فى القرن الثانى زاد عدد الضرائب الصغيرة وتزايد أعباء الخدمات الالزامية المحلية • فى النصف الثانى من القرن الثانى حصلت الدولة على ربح من بيع الأراضى ، وكان جانبا منها فيما يرجح عبارة عن أراضى مصادرة ، بينما قسم منها كان أرضا عامة أو أرضا ملكية •

وفى هذه الفترة أدخلت بعض التغييرات على نظام الضرائب المفروضة على الأرض ويبدو أن ضريبة التاج (Stephanos) فرضت لأول مرة • وهذه مصدر ربح وفير للخزانة زاد دخله فى القرن الثالث• ولكن فى هذه الفترة المضطربة من الصعب

تقدير دخل مصر تقديرا صحيحا • فان رسوم كاراكلا الذى منح حقوق المواطنة لرعايا الامبراطورية أحدث تغييرات أساسية فى نظام الضرائب وان كنا لا نستطيع الجزم بأنه أدت الى زيادة فى الدخل • وبعد صدور الرسوم توقفت فيما يظن الضرائب الصغرى ولم تصلنا الا ايصالات قليلة عن ضريبة الرأس• واستحدثت ضريبة التركات Vicesima hereditatum وهى الضريبة التى يدفعها المواطنون الرومان ولعل حرص الادارة الرومانية على تحقيق الاستقرار للميزانية وتحصيل دخل ثابت جعلها تفرض ضريبة سنوية شاملة على كل منطقة تتساوى فى قيمتها مع الضرائب التى كانت تدفع آنفا ان لم تكن تزيد عليها •

واذا كانت الحكومة الرومانية فى مصر قد أبقت على الضرائب المحلية بقيمتها السابقة الا أنها فقدت الكثير من موارد الجمارك واستغلال المصادر الطبيعية للثروة فى مصر •

أما عن النفقات التى تتحملها الحكومة فى مصر فالشواهد عليها قليلة • ويمكن أن تقدر على وجه التقريب نفقات جيش الاحتلال • والمعروف أن هذا الجيش كان يتكون من ثلاث فرق نقصت الى فرقتين فى عام ٢٣ م • والى فرقة واحدة فى القرن الثانى مع الفرق المساعدة بنفس العدد • وكان الجنود يعملون فى الأعمال العامة مثل تنظيف وحفر القنوات وتشييد الطرق والجسور والاشراف على مناجم الحكومة والمحاجر وما اليها • وكذلك كان يعهد اليهم بأعمال خاصة مثل حراسة القمح أثناء نقله فى النيل • وكانوا يعملون مع القرويين الذين يلزمون بمراقبة النهر • وخصصت لهم مساحات من الأرض يقومون بزراعتها بينما كانوا لا يزالون يعملون فى خدمة الجيش • فى بقية العالم الرومانى لكن الجندى من الفرق الرومانية يتقاضى ٢٢٥ دينارا قبل نهاية عصر دوميتيانوس عندما أصبحت ٣٠٠ دينار أما راتب الجندى فى الفرق المساعدة غير معروف وان كان البعض يقدره بنحو $\frac{٥}{٦}$ مرتب جندى الفرق الرومانية • أما فى مصر فمن بردية لاتينية تعرف ان مرتب الجندى كان ١٨٦ دينارا فى السنوات الأولى من عصر دوميتيانوس أى ما يساوى

٥/٦ مرتب جندى الفرق خارج مصر • ولكن البردية لا تبين ان كان هذا هو مرتب جندى فى الفرق أم جندى فى الفرق المساعدة •

وقد قدر ليسكييه عدد جنود الفرق الرومانية ١١٫٢٠٠ جندى وعدد الجند فى الفرق المساعدة بـ ٥٦٠٠ جندى وذلك بالنسبة للقرن الأول • ونصف عدد جند الفرق بعد سحب الفرق الثالثة فى الفترة ما بين عام ١٥٠ وعام ٢٠٠ مع بقاء عدد جند الفرق المساعدة ثابتا •

أما عن الميزانية المخصصة لمصر فان نفقات الحكومة مثل رواتب الموظفين وغيرهم ممن كانوا فى خدمة البيروقراطية الرومانية فانها غير معروفة • فهذا الحشد الضخم من التقارير والحسابات من كل نوع تتطلب جيشا صغيرا من الموظفين من كتبة وغيرهم • وكان مرتب الوالى الرومانى ٣٠٠٫٠٠٠ سيستيرتيوم نويا • ومرتب الايديولوجوس وكبار الموظفين ٢٠٠٫٠٠٠ سيستيرتيوم • وكان لكبار الموظفين فى المديريات مرتبات وكانت تعمل معهم هيئة كبيرة من الكتبة والمساعدين • وقد تتباطأ الحكومة أحيانا دفع التزاماتها قبلهم فلا بأس من أن يعوضوا ما ينقصهم من الضرائب المحلية •

وبالنسبة للمبانى العامة ليس لدينا شواهد كثيرة بشأنها • فقد أسلفنا أن الجيش كان ينهض ببناء الطرق وحفر القنوات والأعمال العامة الأخرى وتخصص بعض النفقات لصيانة المبانى العامة فى الاسكندرية مثل دار الحكمة والمكتبات ودور المحفوظات • وكانت نفقات المناجم ومدرسة المصارعين ومخازن الغلال العامة وأرصفة الميناء تصرف من ميزانية الحكومة الامبراطورية • ونفقات نقل Annona الى روما كان بندا هاما من بنود الميزانية •

ولا شك أنه فى بلد زراعى مثل مصر فان العامل الأهم فى المحافظة عليها كولاية

تمثل لروما دخلا له أهمية انما يكمن فى أن يكون لها نظام رى يعمل بكفاءة تامة • وقد لا تكون الضرائب الخاصة بهذا الغرض كافية فلابد من تخصيص أهمية فى الميزانية لسد العجز فى نفقات القنوات والجسور • وفى معظم الأحوال لا نستطيع أن نقدر المبالغ الحقيقية التى كانت تخصص لنفقات مصر ولكن بصفة عامة من الممكن القول بأن روما تمثل القليل مقابل الجزية السنوية ولم تكن مصر لتأخذ الا بقدر ما يسمح به استمرار السلام الرومانى •

اذا كان هدف الحكومة الرومانية فى مصر السيطرة على مصادر الثروة حتى تجنى الخزانة الامبراطورية أكبر قدر ممكن من دخلها فان الاهتمام بالأرض والرى والزراعة لتأتى فى مقدمة المجالات الاقتصادية التى اهتم بها الرومان • وقد اسلفنا أن أغسطس اهتم بتوفير كل الظروف المناسبة لازدهار الزراعة بأن عهد الى الجند الرومان بتنظيف القنوات •• ووجهت الحكومة الرومانية اهتماما واضحا بحماية الأراضى الواقعة شمال الدلتا بالقرب من البحيرات من أن تطغى عليها المياه المالحة • وتدل البرديات التى انتهت الينا فى العصر الرومانى من مديرية منديس فى شمال شرق الدلتا على أن جهود الادارة الرومانية لم تكن موفقة دائما • اذ ظلت مساحات من أرضها تذكر بوصفها مستنقعات • ولعل تدهور الأحوال فى قرى هذه المديرية كان راجعا لهذا السبب •

وقد توالت الشواهد على اهتمام الامبراطور فسباسيان بالجسور واهتمام الامبراطور تيتوس والامبراطور دوميتيانوس بتحسين القنوات ولابد وأن قناة تراجان Amnis Traianus التى ربطت البحر الاحمر بالنيل بالقرب من القاهرة انما كانت قد حفرت على أنقاض ترعة قديمة • وبالرغم من أن تراجان حفر هذه القناة لخدمة أهداف خصصت للتجارة الا أنها بلا شك خدمت قطاع الزراعة باضافة أراضى تزرع على جانبى القناة • وقد خصصت بعض الضرائب لينفق منها على القنوات • وفى الظروف السيئة التى سادت مصر فى القرن الثالث أهملت القنوات وفى كثير من الأحوال جف الكثير منها •

وقد كشفت الحفائر فى منطقة الفيوم أن كثيرا من القرى تدهورت فى هذه الفترة وقد بذلت محاولات من جانب بعض الأفراد لتنظيف القنوات وبناء قنوات جديدة وقد كلف بروبوس جنوده بالعمل فى القنوات واصدر تعليماته الى حكام المديريات بالمساعدة فى اعادة حفر القنوات • وقد تبين أن بعض القرى فى الفيوم استطاعت أن تنتعش فى أواخر القرن الثالث وربما كان ذلك راجعا الى الجهد الصادق الذى بذلك بروبوس فى صيانة جوانب القنوات وازالة الطمى المتراكم بها •

وقد واجهت الحكومة الرومانية مسئوليتها بأن فرضت ضريبة Naubion وهى ضريبة صغيرة فرضت على أراضى البساتين والأراضى التى كانت أصلا خاصة بالجند Gê Katoikiké • وكانت حصيلتها تنفق على القنوات • وفى القرن الثالث يبدو أن نقابة عمال النهر كانت تقوم بتنظيف القنوات مقابل أجر يتحدد بواقع من الطمى أو الأتربة Naubion يساوى مترا مكعبا على وجه التقريب) • وفى عقود ايجار الأراضى المعروفة باسم katoikiké وأراضى الامتلاك الخاص فى منطقة الفيوم تشتمل عادة على شرط يتحتم بمقتضاه على المستأجر أن يضطلع بأعمال اصلاح جوانب القنوات والمحافظة على قنوات الرى •

ولا يقل أهمية عن القنوات العناية بالجسور • وكانت الجسور تقوى بزراعة الأشجار وتفرض عقوبة شديدة على من يجرؤ على قطعها • ومن الأهمية بمكان ملاحظة الجسور على جانبى النهر •

فرضت ضريبة chometikon وقيمتها (٦ درانات و ٤ أوبولات) لتقوية الجسور وكانت تفرض على أولئك الذين كانوا يخضعون لضريبة الرأس • ولا تعرف ما اذا كانت ضريبة chometikon قد فرضت بالاضافة الى العمل الالزامى أو أن دفعها يعفى

من هذا العمل • وان كان البعض يرى أن العمل الاجبارى كان يفرض لاداء مثل هذه الاعمال على الفلاحين فى قراهم فى حين أن الضريبة كانت تنفق لصالح العمل فى صيانة القنوات الرئيسية وجوانبها فكان أصحاب الاراضى والمستأجرون يكلفون الحراس بمراقبة الجسور ويقومون باصلاحها خلال موسم الفيضان على نفقتهم الخاصة •

وكانت الحكومة تعين مفتشين لمراقبة العمل فى صيانة الجسور على النحو الاكمل ولا بد وانه كان أيضا مفتشون يختصون بالقنوات • وكان العمل فى الاشراف على تغطية المياه للاحواض وصرفها منها من أعمال السخرة بينما كان أصحاب الاراضى يدفعون رواتب للحراس• وكان هناك حراس للمياه يتقاضون رواتبهم من الدولة وتحصل من أجل هذا العمل ضريبة خاصة • وفى قرية تبتونيس كان الاشراف على فتحات الرى عمل يتم عن طريق الالزام •

ويجب أن نشير الى أن السخرة التى عرفناها فى العصر البطلمى استمرت فى العصر الرومانى وتعرف باسم Penthémeros أى الالزام بالعمل فى الجسور لمدة خمسة أيام مرة كل عام وان كان أول تنظيم دقيق لهذا النظام قد حدث فى عام ١١٥ م فى عصر الامبراطور تراجان •

أنواع الاراضى :

ان التقسيم الاساسى الذى انقسمت اليه الارض فى عصر البطالمة استمر قائما فى العصر الرومانى بعد أن أدخل عليه تعديل يتفق مع طبيعة أهداف السياسة الاقتصادية للرومان • ولكن على عكس البطالمة شجع الرومان الملكية الخاصة ويمكن أن نتبين الانواع الاتية من الاراضى كما تكشف عنها مصادر البردى •

أولا ـ الأرض العامة gém demosia ويستخدم هذا التعبير بمعناه الواسع للدلالة على أنواع الأراضى المختلفة التابعة للدولة تمييزا لها عن الأراضى التى يمتلكها الأفراد ملكية خاصة • ويعنى التعبير بمعناه الضيق نوعا من الأراضى كنوع متميز • وفى التماس تقدم به المزارعون فى احدى قرى الفيوم ذكروا أنه لا توجد أرض ملكية gé bsilike أو أراضى وسية أو أراضى امتلاك خاص ولكن مساحة معينة من الأرض على ضفاف القنوات لا تزرع • وهذا النوع الذى أشار اليه المزارعون يسمى أراضى عامة وأحيانا توصف بأنها أراضى ملكية • ولذلك يمكننا أن ندخل تحت اصطلاح الأرضية العامة gé demosia ضفاف القنوات وضفاف النهر والأراضى التى أضافها النهر الى مساحة أراضى الجزر والتى لم تدخل بعد فى نطاق أي نوع من أنواع الأراضى وقاع القنوات الذى كان يستخدم للزراعة •

ثانيا ـ ويدخل البعض فى نطاق الأرض العامة الأراضى الملكية gé basiliké التى كانت على أيام البطالمة والتى استمر يديرها فى العصر الرومانى الموظف الذى يحمل لقب dioiketes ويقوم باستئجارها المزارعون الملكيون ويعرفون باسم basilikoi georgoi أو demosioi georgoi ويؤدون عنها ايجارا يدفعونه الى خزانة الدولة • وأحيانا كانت الدولة تعمد الى بيع مساحات من الأرض الملكية الى الافراد وتفرض عليهم الضرائب ويدخل البيع فى اختصاص

ثالثا ـ أراضى المعابد gé hieratiké • صادر أغسطس الأرض التى كانت تملكها المعابد وتقوم على ادارتها فى العصر البطلمى ووضعها تحت اشراف dioiketes وظلت مع ذلك محتفظة باسمها فى وثائق العصر الرومانى • وكانت قيمة الايجار بالنسبة لبعض مساحات من هذه الأرض متفاوتا على نحو ما كانت ايجارات الأراضى الملكية • فى حين أن مساحات أخرى يحدد ايجارها سنويا وفى هذا تشبه أراضى الامتلاك الخاص •

وكانت الدولة تؤجر المعابد مساحات من الأرض بدلا من تقديم لعانات لهـــا ومثل هذه الأراضي تسمى الأراضي الملكيـة المقدسة أو الأراضي العامة المقدسـة وكانت الدولة تخصص مساحات من الأرض يخصص ريعها للمعابد وتعرف باســم gé anieromene ويدخل البعض أيضا ضمن الأراضي العامة .

رابعا ـ الأراضي الامبراطوريـة (الوسية) gé ousiaké : في أوائل عصـر الامبراطوريـة منحت مساحات من الأرض لاعضاء في البيت الامبراطوري الى أصدقائه ورجال حاشيته ولدينا شواهد على تملك كل من فسباسيان وتيتوس نقط الضياع مـن هذا النوع . ومن المرجح أن كثيرا من الأراضي الممنوحة على هذا النحو علـى عهد الاباطرة من الأسرة البوليـة الكلوديـة تحولت الى الامبراطور بنهاية عهـد نيرون وهذه الأراضي كانت تؤجر لمزارعين يعرفون باسم ousiakoi georgoi أو الى demosioi georgoi ولا نعرف متى دخلت هذه الضياع في نطاق الـ Patrimonium الامبراطوري ولكننا نعرف أن معظم هذه الضياع قد آلت الـى ملكية الامبراطور عن طريق التوريث أو عن طريق المصادرة وذلك قبل وفاة نيرون . وقد نظمت في عهد نيرون أو في عهد الفلافيين ادارة خاصة عرفت باسم logos ou siakos لادارة هذه الضياع . وكانت الأراضي المنزوعة تدار بنفس الطريقة الـتي كانت تدار بها الأراضي الملكيـة . أما الأراضي المخصصة للبساتين فقد كانـت تؤجر لأصحاب رؤوس الأموال الذين يؤجرون مساحات واسعة يؤجرون جانبـا منها لاخرين . وهؤلاء المستأجرون من الباطن يتحملون المسئولية أمام الدولـة اذا لم يوف المستأجرون الاصليون بالتزاماتهم الماليـة قبلها . ويبدو أن عـدول الاباطرة عن تمليك أغنياء الرومان وأفراد من الأسرة الامبراطورية وغيرهم ممـن لا يقيمون بصفة دائمة في مصر ضياعا بها قد جعلهم يشجعون منح هذه الضيـاع لمن يستطيع النهوض بزراعتها من المقيمين بمصر نفسها .

خامسا ـ أراضى الدخل géProsodov • لعلها كانت فى رأى البعض تتكون من الأراضى المصادرة والتى كانت توضع مؤقتا تحت اشراف الدولة حتى يتم التصرف فيها بالبيع أو أن يعهد بها الى ادارة خاصة بها •

سادسا ـ الأراضى المنزوعة الملكية أو التى كانت تحت الحراسة
genematographoumena hyparchonta
أصحاب الأراضى الذين كانوا مدينين لخزانة الدولة توضع أراضيهم تحت الحراسة حتى يقوموا بالتزاماتهم مع ابقاء ملكيتهم لها • وفى حالة عجزهم عن الدفع تصادر الملكية وتوضع تحت تصرف الادارة الخاصة بأراضى الدخل وقد وضع idioslogos تعليمات محددة تتعلق بمصادرتها •

سابعا ـ الأراضى المعروفة باسم gê hypologos يبدو أنها كانت تشمل الأراضى الواقعة على أطراف الأرض الزراعية التى كانت تؤجر أحيانا بقيمة اسمية أو يتولى الايديولوجوس بيعها بثمن بخس • ومع هذا ففى بعض الحالات كانت هذه الأرض تؤجر بقيمة مرتفعة • أو يفرض زراعتها مقابل ايجار محدد •

ثامنا ـ ge limnitiké وجدت فى الدلتا تديرها ادارة خاصة يخصص جانب منها للبساتين وجانب منها لزراعة الحبوب وعموما قيمتها الايجارية منخفضة •

تاسعا ـ أراضى الامتلاك الخاص ge idiótiké أو ididktetos وبصفة عامة أبقى الرومان على ثلاثة أنواع من الأراضى كملكية خاصة لأصحابها وهى أراضى الهبات ge dorea و ge klerouchi ويضم النوعان الاخران أراضى الاقطاعات العسكرية فى المصر البطلمى •

ويبدو أن الملكية الخاصة زادت وبصفة خاصة فى القرنين الثانى والثالث• ولعل التوسع فى الخدمات الالزامية كان عاملا هاما من عوامل تشجيع الاتجاه نحو الملكية الخاصة • اذ كان من الضرورى أن يتوفر فى الذين تفرض عليهم هذه الخدمات أن تكون لهم ملكية خاصة • وكان هناك اتجاه نحو تمليك النساء للأرض اذ لم يكن من

الممكن اختيارهن للأعمال الالزامية أو أن تقدم لهن أرض يلتزمن بزراعتها •

واذا فحصنا وثائق العصر الروماني بالنسبة لتقسيمات أراضي الامتلاك الخاص فاننا نجد :

١ — أرض الهبات ge dorea نادرا ما نجد اشارة الى أراضي من هذا النوع اما أنها بقية أراضي من العصر البطلمي أو أنها كانت علما على ضياع وهبها الرومان لبعض الأشخاص •

اما أراضي الاقطاعات العسكرية فان المعروف منها باسم ge lerouchiké في العصر البطلمي والتي أعطيت لطوائف معينة من الجند فقد احتفظت بصفتها تلك في سجلات العصر الروماني ويدفع عنها أصحابها ضريبة محددة أو ايجارا كان عادة من أردب الى أردب ونصف عن كل أرورة •

وأحيانا يدخل في عداد ها الأراضي التي أعطيت للجند الرومان المسرحين kolonai والأراضي التي بيعت للأفراد •

والأراضي المعروفة باسم ge katoikik في العصر البطلمي أصبحت تخضع لضريبة مخفضة أو ايجار منخفض في قيمته •

عاشرا — أراضي البلديات politikai ousiai • كانت الاسكندرية تمتلك أحيانا أراضي في الفيوم وربما في أماكن أخرى • ولعلها كانت تملك أيضا أراضي في الدلتا على شكل هبات ومنح من الأرض • وقد قسمت الى مساحات كبيرة ولم تكن فيما يبدو خاضعة للسلطات المحلية ولا بد وأن تكون معفاة من الضرائب وعندما أعاد الامبراطور سبتيموس سيفيروس تنظيم عواصم المديريات لتكون كل منها بلدية منحها قطعا من الأرض وتؤجر لمستأجرين يدفعون الايجار للدولة وان كان ذلك عن طريق مجالس المديريات البلدية • ويلاحظ أن أرض البلدية لم تكن لتشمل كل أراضي المديرية •

ومن حيث علاقة كل هذه الانواع من الأراضى التى تقدم ذكرها بالضرائب ودخل الدولة ، كانت الاراضى تقسم الى أراضى بساتين والأراضى الزراعية التى تغطيها مياه الفيضان .

والنوع الثانى هو الأراضى التى لا تصلها المياه ويدخل فى عدادها الأرض المزروعة فى حوض النيل والتى لم تزرع بعد لعدم وصول مياه الفيضان اليها لمجيئه منخفضا أو لأى سبب آخر .

ولما كان الفيضان يزيل كل عام الحدود التى تقسم الأرض وتغيير من طبيعتها نتيجة لحركات التيارات النهرية فأرض يبتلعها النهر وأرض يطرحها لذلك كان لابد من الاهتمام بعملية مسح الأرض . وترتب على ذلك وجود سجلات كاملة فى مكاتب سكرتارية القرية والكتاب الملكيين ومدير المديرية وربما فى دار السجلات الرئيسى بالاسكندرية .

ومن المرجح أنه كانت تتم عملية مسح شاملة anamétresis فى فترات زمنية عندما كانت الأرض العامة تطرح للايجار .

وكان من حق الافراد أيضا أن يطلبوا مسح أراضيهم لتوضيح مساحاتها ويطلق على هذه العملية اسم episkepasis

وتختار لجنة يعين أعضاؤها سنويا لبحث حالة الأرض بعد انسحاب مياه الفيضان وذلك لتحديد شرائح الضريبة بما يتناسب مع حالة كل نوع منها . ولم يكن الوالى تيبريوس يوليوس اسكندر راضيا عن ربط الضرائب بناء على عملية مسح الأرض التى تمت فى السنة السابقة بل يجب أن يكون مرتبطا بالوضع الراهن للأرض . وكان يدخل فى عضوية اللجنة ممثلون عن epistrategos وحاكم المديرية وممثلون عن القرى نفسها وكتاب القرية والمساحون الحكوميون .

السياسة الدينيـــة

وضع أغسطس كل نظم العبادة فى مصر وأملاك المعابد تحت الاشراف المباشر للدولة • وهذا النظام بكل بساطة يتلخص فى أن الحكومة أخذت لنفسها الحق فى ادارة ممتلكات المعابد وبدلا من الدخل الذى كان يحصل عليه كل معبد من أراضيه كانت الحكومة تدفع مبلغا محددا باسم Syntaxis ويتضح من احدى البرديات أن معبدا فى بوزيريس فى مديرية هيراتليوبوليس كان يمتلك فى عام ٢٠ ــ ١٩ ق • م أراضى زراعية آل الاشراف عليها وادارتها الى الدولة وكانت الحكومة تقدم مائة أردب من القمح الى كهنة المعبد من دخل أرضيه ، يضاف اليه مائة أردب أخرى من الخزانة و ٢٨٠ ــ دراخمة لتقديم القرابين للامبراطور وآلهة أخرى • ويبدو من هذا التصرف أن هذا الفعل فى صالح المعبد اذ أن الدولة تعوض المعبد عن النقص فى دخله من أراضيه بمقادير من القمح لتحافظ على المبالغ السنوية التى تقدمها اليه • ولكن من ناحية أخرى فان المعبد الذى كان يدخل فى حيازته ممتلكات واسعة كان لا يحصل على كل دخله من هذه الممتلكات فيما عدا المبالغ التى خصصتها الحكومة ولكن فى جميع الحالات كان الكهنة يحصلون على رواتب محددة ولا شأن لهم بما يطرأ على دخل أراضى المعبد من زيادة أو نقصان •

ونفهم من بردية أخرى أن المعبد يستطيع أن يستبدل المبالغ التى تصرف له بقطعة من الأرض يحل دخلها محل Syntaxis فنجد أن الوالى بترونيوس (٢٥ ــ ٢١ ق • م) الذى أشرف على اعادة تنظيم الشئون المتصلة بالمعابد يمنح قطعة من الأرض الى كهنة Soknebtunis وظل خلفاء هؤلاء الكهنة يديرون هذه الأرض لمدة تسعين عاما وينفقون من دخلها على المعبد وربما كان هدف حكومة أغسطس ضمان التوزيع العادل للموارد المخصصة للنواحى الدينيـة •

والواقع أن أغسطس لم يجد فى مصر أى نوع من أنواع تحكم الدولة فى الدين فهذه نظرية بعيدة كل البعد عن التفكير الاغريقى، وخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين البشر والآلهة • ولم يشأ البطالمة أن يتدخلوا فى شئون المعابد المصرية وان كانوا قد خصصوا فى الفترة الأولى من حكمهم ضريبة الأبومويرا لصالح العبادة الأسرية • ولكن استمرار هذه السياسة لا يتفق مع السياسة العامة لأغسطس • اذ أنه لم يهدف الى تأليه نفسه أثناء حياته ولذلك فان ضريبة apomoira والضرائب المشابهة ذهبت الى الخزانة التى تدفع فيها الموارد الدينية لتخصص للانفاق على العبادات عامة • وحقيقة يدخل فى ضمنها القرابين التى تقدم للامبراطور والأسرة الامبراطورية وعند الرومان تقع مسئولية عبادة الالهة على الدولة نفسها ، فطبيعة الأشياء تقتضى من أغسطس أن يدخل نوعا من الاشراف الخاص أو اشراف الدولة على الموارد المالية للمعابد •

وبالنسبة للادارة العامة لموارد المعابد ، فبينما أغسطس كما أسلفنا لم يرغب فى أن يمثل نفسه فى مصر وضع الالهة ولم يشأ كذلك أن يمثل لنائبه فى حكم مصر مركز الزعامة والتسلط فى مجال الدين • وتمشيا مع سياسته فى ايجاد جهاز لمراجعة أعمال الموظفين نائبه عهد بادارة المعابد وعبادة الالهة بصفة عامة الى idiologos الذى كان أقل مرتبة من الحاكم الا أنه كان مسئولا مسئولية مباشرة أمام الامبراطور وأصبح يحمل أيضا لقب كاهن الاسكندرية وكل مصر ولكن مع ذلك فان وظيفته كانت وظيفة علمانية تتصل أساسا بموارد المعابد •

والأموال التى كانت مخصصة للمعابد سواء أكانت مصادرها الأراضى القديمة أو من الضرائب فانها ظلت فى خزانة الاسكندرية محتفظة لنفسها بحساب خاص حتى نهاية القرن الثانى عندما انتقل الاشراف على المعابد بعد سنة ٢٠٠ الى أعضاء مجالس الشيوخ المحلية وخضعت هذه الأموال لاشراف البلديات •

والنتيجة الهامة لاجراءات أغسطس هى أن السلطة والنفوذ الذى كاد أن يتلاشى بعد تحويلهم من سادة اقطاعيين الى أسرى للدولة • ولكن التغييرات كانت تتم ببراعة تامة تحت ستار تقديم المكاسب الظاهرة للمعابد عن طريق ضمان الدولة لاستقرار موارد المعابد ونقل عبء ادارة الأراضى والممتلكات الى الخدمة المدنية •

المقائد والنظم الدينية :

كانت بعض المعتقدات الدينية عند المصريين فى العصر الرومانى قد تأثرت بمثيلتها عند الاغريق وخاصة فى الجهات التى كثر فيها اختلاط الاغريق بالمصريين وبينما ظلت بعض الآلهة المصرية تحتفظ بشخصيتها حتى فى تلك المناطق التى تغلب عليها العصر الاغريقى وقد حدث بعض الاحتكاك من المعتقدات الاغريقية عن طريق التشابه القائم بينهما • وبجانب هذه التغيرات التى طرأت على المعتقدات المصرية فان هناك من الشواهد ما ينهض دليلا على وجود معتقدات هيلينية فى الأماكن التى يبدو فيها الاثر الواضح للتأثير الاغريقى • وكذلك فقد تابع الرومان من موظفين وجنود بعض المعتقدات الرومانية • والى جانب كل هذه المعتقدات المصرية والاغريقية والرومانية كانت العقيدة اليهودية التى لم تؤثر فى العقيدة المصرية ولم تتأثر بها وان كان مفكروهم قد تأثروا بأساليب التفكير الفلسفى عند اغريق الاسكندرية •

وقد اتبع الرومان سياسة التسامح الدينى وعدم التدخل فى الشئون الدينية لرعاياهم وقد أسلفنا أن اغسطس اتخذ من الخطوات ما يكفل عدم تمكن رجال الدين المصريين من أن يتحولوا الى نواة تتجمع حولها المعارضة القومية لحكمه وذلك عن طريق وضع أراضى المعابد تحت سيطرة الحكومة ووضع كل هيئة الكهنة تحت سيطرة كاهن الاسكندرية وكل مصر وهو الموظف الرومانى الذى كان يشغل وظيفة الايديولوجوس

وكان لهذا النظام تأثيره الواضح في صرف الكهنة عن محاولة تنظيم ثورات ضد الحكم الروماني ولم نسمع الا في القرن الثاني عن ثورة المزارعين التي تزعمها أحد الكهنة في عصر الامبراطور ماركوس أوريليوس . ومع ذلك كان جمهور المتعبدين لآلهتهم في معابدها لم يتأثروا بهذه الاجراءات وكذلك لم تتأثر بها هيئات الكهنوت ولا زالت الضرائب الدينية المقدسة القديمة تجبى بأسمائها القديمة وأراضي المعابد لا تزال رسميا توصف بأنها مقدسة . وتخصيص خزانة تنتهي اليها كل الايرادات المتحصلة من ممتلكات المعابد تجعل تلك الايرادات منفصلة عن موارد الدولة الأخرى . ولم يكن في جمع الادارة الدينية في يد موظف روماني لتمس شعور المزارعين المصريين ومن المرجح جدا أن التغيير الذي أحدثه الرومان لم يكن لينتبه اليه القرويون من المصريين .

وكان idiologos يرأس هيئة الكهنة وما تضمنته تعليمات gnomon التي وصلت نسخة منها محررة في عام ١٥٠ م تظهر مدى الدقة التي كان يدير بها هذا الموظف كل ما يتصل بالمعابد وحياة القائمين على شئونها . وتنظم التعليمات ترتيب المناصب الكهنوتية وممارسة الكهنة لواجباتهم وملابسهم . وكان الايديوس لوجوس يبعث بمفتشيه لتفقد العمل في المعابد ويرسلون بكل الجدية من يخالف التعليمات مقبوضا عليه الى الاسكندرية . وكان كاتب الضريبة يدعى لتقديم مساعدته في الادارة بأن يقدم تقارير شهرية عن مواظبة الكهنة على الحضور لتأدية عملهم . وتقدم تقارير سنوية بالايرادات والمصروفات وأثاث المعابد الى حاكم المديرية Strategos ولابد من موافقة هذا الحاكم على ختان الغلام الذي سيسمح له بالدخول الى هيئة الكهنة . وقبل ذلك يجب التأكد من أنه سليم الجسم لا يعتوره أي عيب خلقي وينتمي أصلا الى أسرة كهنوتية . كما وأنه كان يشرف على بيع الوظائف الكهنوتية في المعابد .

وكان يقوم على ادارة المعابد مجموعة من كبار الكهنة يختارون سنويا واستمر هذا النظام حتى عام ٢٠٠ م . عندما تكونت المجالس المحلية أو البلدية وأخضعت المعابد

لادارة البلديات وخضعت شئونها المالية لاشراف الموظفين الذين تعينهم المجالس .

وهناك اشارات قليلة يفهم منها وجود كاهن أعظم الذى ينبغى أن يفصل بينه وبين الكاهن الأعظم لكل مصر فى الاسكندرية تكون له رئاسة معبد واحد أو تمتد سلطته الى كل المعابد فى المدينة أو فى مدينتين وربما كان يشرف على هيئة كبار الكهنة .

موارد المعبد :

من المعروف أن كليوباترة اقترضت دخل معابد مصر أو صادرته لتنفق على صراعها مع روما وبذلك وفرت على أغسطس القيام بعمل لا يتفق مع عدم احترام العقائد الدينية للمصريين . وقد قام الوالى بترونيوس فى عام ٢٠ ق . م بمصادرة أراضى المعابد وتعويضا للمعابد عما تفقده من موارد خيرت بين أن تقبل ما تخصصه لها الدولة فى صورة حصيلة ضريبية Syntaxis أو مساحة من الأرض يقوم الكهنة باستغلالها مقابل دفع ايجار محدد .

وبالرغم من أن الأراضى المقدسة قد صودرت فليس هناك من اعتراض على أن يكون للمعبد حق التملك عن طريق الشراء أو الهبة أو أن تؤول اليه ملكيته عن طريق الوصية أو الميراث . كان معبد قرية سوكنوبايسوس Socnopaei Negus يتملك أرضا فى قرية أخرى بالاضافة الى طواحين ومحلات للصباغة وكان معبد فى مديرية تيلاوس يمتلك مصنعا للجعة وحانوتا .

شيد أحد المواطنين الاتقياء مقصورة للربة أفروديتى ووقف عليها بعض الحوانيت التى أعفيت من الضرائب وأراد أن يزيد فى اثراء المقصورة بأن يهب لها مصنعا للجعة والتمس من موظف كبير لعله الايديولوجوس اعفاء هذه الهبة من الضرائب .

شخص يدعى marsisuchus مرسيسوخوس كبير كهنة معبد هادريـان السابق فى أرسنوس أوصى بأن تؤول ممتلكاته الى معبد سيرابيس فى الاسكندريـة بشروط معينة •

كان معبد جوبيتر الكابيتولينى فى أرسنوس يدفع الضرائب عن أرض فى قـرى مختلفـة وعن حمام فى احدى القرى ويقرض المال بالفوائد • (البردية التى وقفنا منها على هذه المعلومات يعود تاريخها الى عام ٢١٥ وكاهن هذا المعبد كان فى الوقـت نفسه عضوا فى المجلس التشريعى)•

واذا كانت ممتلكات المعابد المصرية قد صودرت فانه من الممكن القول أن أمـلاك المعابد الاغريقيـة لم تتأثر بالمصادرة•

وبالرغم من أن قوة الكهنة ونفوذهم قد أضعفت منها اجراءات أغسطس الا أن المعابد كانت لا تزال تعتمد الى حد كبير على الهدايا والمنح التى يقدمها اليها المتحمسـون لعبادة الالهة • وقد أعيد بناء عدد كبير من المعابد والمقاصير ورممت بعض المعابـد على نفقـة الافراد واشتركت فى أعمال البناء والتشييد الذين بل وشيد الاباطرة أنفسهـم عدد آخر من المعابد (من ذلك أن أغسطس شيد مكان النبلاء ومعبد ايزيس فـى دندرة وفى عصره شيدت معابد فى كلابشه ودندو وشيدت معابد على شرف أغسطس ولـم تشيد معابد تكريما لتيبريوس ولكن نقشت صور أغسطس وتيبريوس فى بهو الاعمدة الفرس ومكان النبلاء ومعبد ايزيس فى فيلة • وفى معبد ديبور وتيبريوس وحده فى كوم أمبـو• وكان للامبراطور جايوس هيئة من الكهنة فى الفيوم ولم يسمح كلوديوس بانشاء معبد باسمه ولكنه سمح باقامة تماثيله وتكريس الاهرامات المقدسة فى بعض المديريـات المصريـة وكذلك الحال بالنسبة لبقيـة الاباطرة •)

وكانت خزانة الدولة تحصل على جانب من دخلها من الصناعات التى تديرهـا المعابد • ومنطقة المعبد استمرت فى العصر الرومانى مركزا لحياة القرية حيث كـان يعقد سوق القريـة وما يتصل بهذا النشاط من انشاء حوانيت وحيث كان يمـارس أصحاب المهن نشاطهم وكان المشرف على مبيعات المعابد يحصل للدولة على ضريبـة على السلع التى تباع فى منطقة المعبد وكان لسيرابيوم أوكسيرنيخوس سوف وتحتفـظ احدى البرديات بقائمة بالضرائب التى تحصل فيه • وتلحق بكل معبد صناعة معينـة مثل صناعة النسيج وجز الصوف وبيعه والعاملين فى صناعة أقنعة لموميات الموتـى وبطبيعة الحال كانت المعابد تتخصص فى الأعمال المتصلة بالتحنيط ودفن الموتـى وتحصل الدولة على نصيبها من الدخل ومن بين المناصب الكهنوتية التى كانت تشهر فى مزاد علنى ويتفاوت ثمن المنصب حسب أهمية المعبد وحسب المرتبة الدينية وحسـب ما يتقاضاه صاحب المنصب من مرتب فمثلا الكاهن الأكبر (prophet) يحصـل على خمس دخل المعبد •

وفى الواقع كان المعبد المصرى يفقد بالضرائب التى يدفعها للدولة جزءا كبـيرا من دخله وكذلك عليه أن يدبر نفقات شراء الملابس للكهنة والبخور والعطور لتقديمهـا للقرابين وما يتصل بالوفاء بالالتزامات قبل العجول المقدسـة أبيس ومنيفس والتماسيح والحيوانات الأخرى وتوفير الخبز والزيت والنبيذ هذا بالاضافة الى عدد كبير مـن الموظفين كأمناء المحفوظات والكتبة وحراس المعبد والملاحظين والمراقبون •

ولم تكن الحكومة الرومانية لتفرض ضرائب ثقيلـة على المعبد المصرى بل كانـت تحصل أيضا على دخل كبير من الرسوم التى تدفع عند رسامة الكهنة وبين الوظائـف الدينيـة • وبعض المناصب الكهنوتية المصريـة كانت وراثيـة ومقصورة على عدد مـن العائلات وفى بعض الحالات كان حق الالتحاق بواحدة من قبائل الكهنة الخمـس

يخضع للضريبة • هذا وقد كانت نسبة معينة من كهنة كل معبد تعفى من ضريبة الرأس •

المعبودات المصرية :

لم يستطع الحكم البطلمى أن يزحزح المصريين عن عقائدهم واجتذبت المعبودات المصرية اهتمام الرومان وأثارت فضولهم وما لبثوا أن شاركوا فى عباداتها واستطاعت بعض آلهة مصر مثل الربة ايزيس أن تجد طريقها الى كثير من أرجاء الامبراطورية الرومانية بل والى روما نفسها (راجع مصر والامبراطورية الرومانية للدكتور عبد اللطيف أحمد على ص ١٤٧ وما يليها) ذلك أن ايزيس أصبحت ربة عالية ولقيت رعاية خاصة من أسرة الفلافيين ومن أحسن الأمثلة على استمرار عبادة الالهة المصرية بدون أن تمتزج بالأفكار الاغريقية نجدها فى حالة اله التمساح Sobk سبك ، الذى انتشرت عباداته بصورة مختلفة فى اقليم الفيوم حيث أصبح ربها الرئيسى وانتشرت عباداته كذلك فى عدة مناطق على النيل وقد تأغرق اسمه وأصبح يعرف عند الاغريق باسم سوخوس Souchos وكرس لعباداته معبد فى أرسنوى عاصمة الفيوم • وعبد فى مناطق مجاورة بأسماء أخرى مثل سوكنبتونيس Soknebtunis فى قرية تبتونيس ، وسوكنوبايوس Soknopaios فى قرية سوكنوبايونيسوس Soknopaiou Nesos, Sokopichonsis سوكوبيخونسيس فى تبتونيس ، وبيتيسوخوس Petesouchos فى كرانيس ، واتخذ فى كرانيس اسما آخر وهو Pnepheros وان كان هذا الاسم لا يتكون من اسم Souchos ولعل اعطاء الاله الاسم الاغريقى Souchos كان ليتفق مع النطق اليونانى ، وقدمت له القرابين عناصر من الاغريق الا أنه لم يمثل أبدا فى صورة آدمية على عادة الاغريق انما كان دائما تمساحا وبهذه الصورة ظهر على قطع النقود فى اقليم الفيوم وعلى اللوحات أو شواهد القبور ومثل الاله سوكنوبايوس على شكل تمساح ينتهى برأس صقر مما يشير الى اتصاله بعبادة الشمس ويرتبط بحورس• وكان المعبد يحتفظ

بالتمساح المقدس فى بحيرة مقدسة مما جعل معابده من المشاهد المثيرة التى يحرص السياح الاغريق والرومان على مشاهدتها • وقد بذلت محاولات فى تبتونيس للجمع بين الاله سباك وبين كرونوس ففى بعض برديات القرنين الأول والثانى أشارت الى Soknebtunis • الذى هو كرونوس وربما دفع الى هذا الجمع بينهما ما كان شائعا فى صعيد مصر من اعتبار سباك هو الاله المصرى جب Geb وكان جب يعتبر عند الاغريق أنه هو الاله سباك •

هذا وكانت هناك أيضا معبودات مصرية أعطيت أسماء اغريقية مثل كما أسلفنا سباك هو كرونوس وتاوزت انثى عجل البحر هى أثينا والاله بتاح هو هيفايستوس وخنسو اله القمر هو هرقل •• وآمون هو زيوس الخ ••• الخ ••

وكما انتشرت عبادة ايزيس انتشرت أيضا عبادة سيرابيس فى شتى أرجاء الامبراطورية ومن المألوف أن يكون معبد سيرابيس بجوار معبد ايزيس نظرا للرابطة القائمة بينهما •

أما فى مصر نفسها فقد كانت عبادة سيرابيس تجرى على الطريقة المصرية وفى منف نجد أن معبد سيرابيس قد اختفى بينما استمرت عبادة أبيس • وعادت عبادة أوزيريس فى ابيدوس لتحل محل سيرابيس • وقد يفسر هذا بأن عبادة سيرابيس لم تكن عبادة يقدسها الشعب المصرى بقدر ما كانت عبادة رسمية للدولة • وظلت ايزيس الشريكة فى الثالوث الاسكندرى والتى سميت فى العصر الرومانى بالربة ديمتير Demeter •••• محتفظة باسمها ولم تلغها الاسماء الاغريقية التى عرفت بها وهى افروديتى • وهيرا • وأثينا وكورى الخ •• أما عبادة هربوكراتيس فقد كانت عبادته مصرية مثل عبادة ايزيس ومنتشرة فى كل مكان •

العبادات الرومانيــة :

ليس هناك من دليل على عبادات رومانية فى مصر بالرغم من ظهور أسماء بعـض الالهة الرومانية فى النقوش مثل جوبيتر ويولو • وقد عثر على هذه النقوش بالقرب مـن الشلال الأول وعلى نقش يحمل اسم .... Juppiter Optimus Maximus فى قفط • وعلى نقش يحمل اسم Mercurius وسبب ذلك راجع الى أن أسمـاء هذه الالهة الرومانية قد كتبت باللغة اللاتينية • وان ذكر هذه الالهة بالأسمـاء اللاتينية انما هو رغبة من كتبوها من الرومان مثلا على مقابلتها بالالهة المصرية المحلية • وكان الجند الرومان يتعبدون الى الالهة المحلية اذا كانوا فى حاجة الى التعبـد خارج معسكراتهم • وهناك اشارات الى استيراد الهة مثل الاله هيرابلس Hierablus وقد شيد له أحد جنود بالميرا مذبحا فى قفط • ولكن لما كان معظم هؤلاء الجنـد الرومان مواطنين من ولايات شرقيـة • وابتداء من القرن الثانى كانوا من سلالة الجنـد المولودين فى مصر فانه يفهم السبب فى اقبالهم على عبادة الالهة المصرية •

والاله الرومانى الوحيد الذى شيد من أجله معبد فى مصر هو الاله جوبيتر الكابيتوليني والذى قدس فى أرستوى •

عبادة الأباطـرة :

يبدو أن أباطرة روما أخذوا عن البطالمة فكرة تأليه الملوك وان كنا لا نمـلك الدليل على اقامة معابد أو مقاصير لتأليه أباطرة روما أثناء حياتهم • وقد كرست لعبادة الأباطرة وزوجاتهم فى بعض المدن الاسكندرية ومنف وارسنوى واوكسيرنيخوس وهرموبوليس والفنتين وفيله • والأباطرة الذين ترددت أسماؤهم فى هذا المجال هم أغسطـس وتراجان وهادريان وأنطونينوس بيوس والامبراطورة فاوسقينا ولا يمكن أن نعتبرها حدث

فى عهد كاليجولا وما اصطنعه الاسكندريون من تقديسه ارضاء له وللتغلب على خصومهم اليهود دليلا على عبادة الامبراطور فى حياته وقياسا على ذلك ما حدث بشأن قداسة شخص الامبراطور فسباسيان والتى فرضتها جماهير شعب الاسكندرية بشأن القصة التى تروى لقدرة الامبراطور على اعادة البصر وقد يقال ان هناك اشارة غير مباشرة الى تأليه الاباطرة فى قرن اسمائهم بأسماء الآلهة مثل مخاطبة أغسطس على أنه زيوس اليوثيريوس Zeus Eleutherios أو وصف نيرون على أنه روح هذا العالم وعبقريته وقد يشير هذا الى Agathos Daimon الذى كان يعبد فى الاسكندرية • والاشارة الى أفلوطينا فى دندرة على أنها افروديتى الجديدة• ولا ينبغى أن يفهم أن وجود تماثيل للاباطرة فى المعابد المصرية دليلا على عبادتها •

ولم تدخل عبادة روما الى مصر الا اذا اقترنت ببعض الحفلات الدينية •

الديانات السماوية :

١ - اليهودية : (راجع كتابنا عن اليهود " فصل الحياة الاجتماعية فى العصر الرومانى ")•

٢ - المسيحية :

يرفض بعض المؤرخين ما تردد عن دخول المسيحية الى مصر على يد القديس مرقص عندما زار الاسكندرية على عهد الامبراطور نيرون • الا أنهم يتفقون أن المسيحية كان لا يمكن تأخر وصولها الى الاسكندرية بوصفها واحدة من أهم مدن العالم وأكثرها اهتماما بالنواحى الفكرية والفلسفية بفضل مدرستها وأكاديميتها • ولابد وأن وجود فلاسفة اليهود وجالية اليهود ببيعتها الضخمة فى الاسكندرية قد تأثرت بظهور المسيحية فى فلسطين القريبة من مصر فحدث مالا بد من حدوثه من صدام بين الدينين ، المسيحية واليهودية ولا بد وأن تقرأ عن يهود الاسكندرية وأن

لم يكن بعض أحبارهم قد أقبلوا على المسيحية يبشرون بها وان كانت معلوماتنا طفيفة عن المسيحية فى القرن الأول الا أن تعليماتها بلا شك كانت قد اتخذت صفة الثبات والاستقرار فى القرن الثالث وأول شخصيات المسيحية التاريخية كان ديمتريوس الذى كان أول أسقف لكنيسة الاسكندرية فى السنوات الأخيرة من عهد الامبراطور كودوس وفى عهد ديمتريوس الذى استمر طوال ثلاثة وأربعين عاما زادت أهمية المسيحية وذلك تلاحظه فى انشاء كثير من الكنائس المسيحية التى بلغ عددها عشرين كنيسة بعد أن كانت ثلاث كنائس فقط فى أول الأمر •

وقد تأسس فى عهد ديمتريوس مدرسة الاسكندرية المشهورة فى دراسة اللاهوت والتى حملت أسماء مؤسسيها بانتانيوس Pantoenus وكليمنس ، أوريجينيس •

وفى السنة العاشرة من حكم الامبراطور سيفيروس (١٩٣ ـ ٢١١) كان أول اضطهاد لمسيحى مصر واشتد فى الاسكندرية مما اضطر معه كليمنس الى مغادرة الاسكندرية متخفيا الى فلسطين •

وتبعه اضطهاد اخر على عهد الامبراطور ديفيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١) وهو ذلك الاضطهاد الذى ارتبط بتلك الشهادات التى تثبت أن حامليها ليسوا بمسيحيين وذلك بعد ارغامهم على تقديم القرابين للآلهة الوثنية • وتابع الامبراطور فاليريانوس ولكن خلفه جاليينوس أوقف عمليات الاضطهاد ذلك أنه كانت تكتنفه المشاكل التى يواجهها فى مصر فلا يعتقد ها بذلك الاضطهاد • ولذلك منح للمسيحيين حرية ممارسة شعائر دينهم • وكان على رأس الكنيسة المسيحية فى مصر الأسقف ماكسيموس (٢٦٤ ـ ٢٨٢) • وقد مكن مرسوم التسامح الدينى الذى أذاعه جاليينوس المسيحيين من تشييد مزيد من الكنائس • والى هذه الفترة ينسب بناء الكنيسة المعلقة

وتحتوى بردية (حوا) ٣٠٠) عثر عليها فى أوكسيرينخوس مع اشارة الى كنائس الشمال وكنائس الجنوب ، ومن المرجح أن مدنا كبيرة أخرى كانت تضم عددا من الكنائس .

وما لبث دقلديانوس أن فاجأ المسيحية باضطهاد منظم دمرت أثناءه الكنائس وارغم المسيحيون على تغيير دينهم واستمرت مركز الاضطهاد عددا آخر من السنين واعتبر المسيحيون ٢٨٤ عام الشهداء .

وقد عثر فى مصر على عدد من البرديات القبطية تتعلق اما بالتوراة أو بالانجيل أو بعلم اللاهوت ومن أهم هذه البرديات :

١ ـ أقدم نص قبطى للانجيل يرجع تاريخه الى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى عثر عليه مكتوبا على بردية تتكون من مائة صفحة تقريبا فى موقع كنيسة قديمة وهو عبارة عن نص انجيل يوحنا .

٢ ـ كتاب الأمثال تضمنته بردية كتبت باللغة الاخميمية القبطية .

هذا الى جانب ما أسهمت به مدرسة الاسكندرية فى دراسة اللاهوت وخاصة تراث كل من كليمنس واوريجينيس . وكان أولهما اثينى الاصل برز فى دراسة الادب والفلسفة الاغريقية وطاف بأكثر بلاد الشرق حتى اجتذبه بنتانيوس الى مدرسة الاسكندرية فاعتنق المسيحية وساهم بنصيب وافر فى محاولة التوفيق بين المسيحية والفلسفة الاغريقية . اما خليفته أوريجينيس فقد كان أبوه قد استشهد فى حركة الاضطهاد التى نظمت فى عهد سيفيروس عام ٢٠٢ . وتولى رئاسة مدرسة الاسكندرية وبشر للمسيحية فى محاضراته التى تركت أثرها فى المسيحيين وأثارت حماسهم واضطر

لمغادرة الاسكندرية الى قيصرية ولقى أشد المحن على عهد ديقيوس •

والى هؤلاء الاعلام من دعاة المسيحية الأوائل فى مصر نضيف اسم كل من باسيليديس وخليفته فالينتينوس وكانا يبشران للمسيحية على عهد الامبراطور هادريان (١١٧ ـ ١٣٨) •

ولا شك أنه كان على المسيحية أن تحارب كلا من الوثنية والثقافة الهلينية وكان على دعاتها أن يبرزوا وبشكل واضح أن المسيحية ليست مذهبا فلسفيا أو فرقة من فرق اليهودية بل هى دين جديد يدعو لخلاص البشرية من تلك المفاسد التى فشت فى المجتمع الاغريقى الرومانى •

ولابد وأن تقترن بدراسة نشأة المسيحية فى مصر بدراسة الرهبنة والديرية وقد عرفهما العالم المسيحى عن طريق مصر •

اليهود فى مصر
فى العصر الرومانى

الفصـــل الأول

مقدمـــــة تاريخيـــــة

تتابع فى هذا القسم من الكتاب دراسة تاريخ اليهود ومختلف أوضاعهم فـى العصر الرومانى • وقد أوضحنا فى القسم السابق كيف أنهم نعموا بالأمن والطمأنينة فـى أكثر فترات العصر البطلمى فازدهرت جالياتهم وبصفة خاصة جالية الاسكندريـــــة وأصبحوا عنصرا له خطره فى حياة البلاد الاقتصادية والسياسية • ورأينا أنهم عندمـــا أحسوا بأفول نجم البطالمة وبأن حكم مصر سيصير الى رومـا أخذوا يعدون أنفسهـــم لاستقبال العهد الجديد • ووضحنا أنه لم يكن من قبيل الصدفـة تدخلهم فى الصـراع الأسرى فى البيت البطلمى ووقوفهم الى جانب الفريق الذى كانت روما تواليه بتأييدهـا وأوضحنا أيضا أنه لم يكن من الولاء للبطالمة أو لاغريق الاسكندرية اخلاؤهم الطريـــق بايعاز من اليهود فى يهوذا أمام جيوش روما لتدخل مصر من جهة الشرق مرة فى سنة ٥٥ ق • م • ومرة أخرى فى سنة ٤٧ ق • م ووقوفهم موقفا سلبيا من كليوباترة السابعة آخر ملوك البيت البطلمى فى صراعها اليائس مع أوكتافيانوس •

وعندما أفاق اغريق الاسكندريـة من الذهول الذى أصابهم فى زحمـــة الأحداث التى أودت بحكم البطالمة ألفوا مدينتهم التى كانت عاصمة لامبراطورية هـــم قوامها قد أصبحت بين يوم وليلـة مجرد مدينة ترزح تحت كاهـل الاحتلال الرومانـــى • ووجدوا أن جاليـة يهود الاسكندريـة لا تدخر وسعا فى اظهار الولاء لاوكتافيانوس دون أن تقيم وزنا لمشاعرهم • وكان من الطبيعى أن تتأزم العلاقات بينهم وبين اليهود لا سيما أن هذه العلاقات كانت آخذة فى التوتر منذ أواخر العصر البطلمى • وكان مــن الطبيعى أيضا أن يرث العهد الرومانى المشاكل التى نجمت عن ذلك حتى أن بعـــض المؤرخين ذهب الى حد القول بأن الادارة الرومانية أدركت منذ البداية أنه يمكـــن

استغلال هذا الموقف لصالحها فعملت على بث الفرقة بين الفريقين ليتسنى لها اخضاع الاسكندرية وكبح جماح الاغريق من مواطنيها الذين طالما تمردوا على الحكم البطلمي نفسه ، وأنها تمشيا مع هذه السياسة آثرت اليهود بكثير من الحقوق والامتيازات في حين أنها لم تعبأ باجابة الاسكندريين الى مطالبهم لتشعرهم بمهانتهم بالنسبة للمكانة الممتازة التى أعطيت لليهود . ويحسن بنا أن نبحث هذا الرأى فى ضوء دراستنا لسياسة أغسطس نحو كل من اليهود والاغريق .

لقد أدركت روما منذ احتكاكها بالشرق الهيلينستى أن الحضارة الاغريقية نشرت ألويتها على الولايات الشرقية بحيث لم يكن فى وسعها سوى الاعتراف بالوضع القائم مع محاولة استغلاله لصالح الادارة الرومانية فى تلك الولايات ، ولذلك اعترفت بتفوق العنصر الاغريقى وفتحت أبواب العمل أمام الاغريق فى الادارة المحلية . ويبدو أن أغسطس عندما أخذ فى تنظيم شئون مصر التزم هذه الخطوط العريضة للسياسة الرومانية ، اذ أنه أعفى الاغريق من مواطنى المدن الاغريقية من دفع ضريبة الرأس وساوى بذلك بينهم وبين طبقة المواطنين الرومان التى كانت تفوقهم فى المنزلة . ولما كانت داخلية البلاد تضم اغريقيا أهل الريف قسموا الى طائفتين ، طائفة تضم الاغريق والمتأغرقين ، وطائفة أخرى تضم عامة المصريين . وبينما أعفيت الطائفة الأولى من دفع جانب من ضريبة الرأس ، ألزمت الطائفة الثانية بدفعها كاملة . ثم عاد أغسطس واصطفى من الطائفة الاولى فئة عرفت باسم خريجى الجمنازيوم hoi apo gymnasiou وجعل من حق تلك الفئة تولى المناصب البلدية فى عواصم الأقاليم وهكذا ظهرت فى ريف مصر طبقة ارستقراطية جديدة كان قوامها الاغريق والمتأغرقون وكانت على علاقات طيبة بالادارة الرومانية . والواقع أنه كان من مصلحة تلك الطبقة أن تظل على وفاق مع تلك الادارة لتستطيع متابعة حياتها العادية والسهر على مصالحها المختلفة .

واذا كان أغسطس قد أرضى الاغريق والمتأغرقين المقيمين في ريف مصر وجعلهم يطمأنون الحكم الروماني فماذا كان موقفه من اغريق الاسكندرية ؟ يسوق بعض المؤرخين شواهد تاريخية معينة توضح سياسة أغسطس نحو الاسكندرية من بينها :

أولا ـ خصص أغسطس للمدينة قوة عسكرية كبيرة تفوق القدر اللازم لتأمين سلامة الحكم الروماني •

ثانيا ـ تقدم وفد يمثل مواطني المدينة الى امبراطور لم يذكر اسمه وان كان أكثر المؤرخين قد رجحوا أنه أغسطس يطلب السماح لهم بتشكيل مجلس شورى boule ولم يجبهم هذا الامبراطور الى طلبهم •

وقد خرج هذا النفر من المؤرخين بفكرة محددة عن سياسة أغسطس وهي أنه قد قصد من وراء اقامة هذه القوة العسكرية ارهاب اغريق المدينة واشعارهم دائما بسطوة روما • وأنه قصد برفضه السماح لهم بتشكيل مجلس الشورى أنه لا يريد أن يعيد لهذه المدينة العتيدة سابق مجدها والا تستكمل بالتالي مظاهر استقلالها اذ أنه لو تم لها ذلك فان خطر الاسكندريين سيزداد وهذا مالا ترضى عنه روما بحال • ولكن الى جانب ما تقدم نستطيع أن نلمس جوانب أخرى لسياسة أغسطس نحو الاسكندرية تتلخص فيما يلي :

أولا ـ أنه أقر الامتيازات التي كانت للمواطنين من قبل •

ثانيا ـ أنه اعترف بمكانة الاسكندرية الممتازة وذلك جريا على السياسة الرومانية التقليدية التي تجعل للمدن الاغريقية في الشرق وضعا خاصا يميزها عن سائر المدن الأخرى وقد تمثل هذا الاتجاه بوضوح في اعفائه فئة المواطنين في المدينة من ضريبة الرأس •

ثالثا ـ أنه فيما يبدو سمح للاسكندريين بتكوين مجلس شيوخ ولعل هذا المجلس كان موجودا كذلك فى عصر الامبراطور كاليجولا •

وفى ضوء هذه الحقائق يكون أغسطس باعفاء مواطنى الاسكندرية من ضريبة الرأس قد منحهم امتيازا هاما ورفعهم درجات من الناحيتين الاجتماعية والسياسية وفضلا عن ذلك فانه أعطاهم حق تكوين مجلس للشيوخ فى حين أنه حرمهم عنصرا هاما من عناصر بناء مدينتهم السياسى برفضه الاذن لهم بتشكيل مجلس البولى الذى لم يكن موجودا عند فتحه لمصر وذلك اذا صح أنه هو الامبراطور الذى رفض السماح بقيام هذا المجلس • وهذا يتفق مع تفسير عبارة ديون كاسيوس التى قال فيها أن أغسطس أمر الاسكندريين بمزاولة حياتهم السياسية دون أن يكونوا أعضاء فى مجلس •

أما بالنسبة لليهود فقد سارت سياسة أغسطس قبلهم على النحو التالى :

أولا ـ أخضع يهود الاسكندرية ومصر جميعا لضريبة الرأس بصورة كاملة غير منقوصة •

ثانيا ـ أقر الامتيازات التى اكتسبتها جالية اليهود فى الاسكندرية منذ عصر البطالمة •

ثالثا ـ أقر حق اليهود فى تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم •

رابعا ـ سمح لهم بتشكيل مجلس شيوخ gerousia

(اليهود والاغريق)

ويتبين من هذا العرض أن أغسطس ساوى فى المعاملة بين الفريقين بمعنى أنه اعترف بما لهما من الحقوق المكتسبة ثم اتخذ من الاجراءات ما يتمشى مع النتيجة المنطقية لهذا الوضع وما يكفل دعم السيادة الرومانية • فقد اعترف بما كان لليهود من حقوق وامتيازات وسمح لهم بتشكيل مجلس للشيوخ ليباشر تنظيم معاملاتهم وأحوالهم

الشخصية ولما كان اليهود لا يتمتعون بحقوق المواطنة فانه تمشيا مع ذلك فرض عليهم ضريبة الرأس .

وقد اعترف كذلك بوضع الاغريق الممتاز فانهم بوصفهم مواطنين أعفاهم من ضريبة الرأس لكن بسبب ما اتصفوا به من الميل الى الثورات لم يسمح لهم بمجلس للبولى . وأن سمح لهم مثل ما سمح لليهود بمجلس للشيوخ بيد أنه لم تكن له أى سلطة تشريعية . واحتفظ فى العاصمة بقوة عسكرية كبيرة لدعم الأمن والنظام والسيادة الرومانية

وبالرغم من أن الرواية اليهودية بالغت مبالغة واضحة فى اظهار عطف أغسطس على اليهود الا أنها صمتت صمتا عجيبا ازاء فرض ضريبة الرأس عليهم حتى أنه ليبدو أن المصادر الأدبية كانت تتعمد اخفاء هذه الحقيقة لكى لا تنتبه الأذهان الى وضعهم الحقيقى . وقد حدا ذلك بتشيريكوفر الى القول بأن اليهود أظهروا سخطهم على أغسطس والادارة الرومانية بقيام بعض دعاتهم بكتابة السفر الثالث من كتاب المكابيين الذى سجل فيه غضبة اليهود من جراء فرض هذه الضريبة عليهم ولا سيما أنها كشفت عن حقيقة وضعهم فى المدينة واذا سلمنا بوجهة نظر هذا المؤرخ ونحن نميل الى الأخذ بها فان معنى ذلك أن تاريخ هذا الكتاب لا يمكن أن يرجع الى ما قبل عصر أغسطس . وان اليهود قد أظهروا حقيقة مشاعرهم تجاه الحكومة الرومانية لكنهم كانوا أفطن من ذكرها بالذات فنسبوا الضريبة الى بطلميوس الرابع وصبوا عليه جام غضبهم فكانوا يجدون متنفسا لغيظهم عند الالتقاء فى بيعهم لقراءة هذا الكتاب . وهكذا بينما كان اليهود فى السر يلعنون الرومان كانوا فى الجهر يسبحون بحمدهم ويظهرون الولاء لهم . وقد عرفنا فى القسمين السابقين أن اليهود كانوا لا يكترثون بشعور جيرانهم بقدر ما يحرصون على ارضاء السلطة الحاكمة .

أما الاغريق فانهم بالرغم مما نالهم من خير باعتراف الامبراطور بوضعهم الممتاز فى الاسكندرية والمدن الاغريقية الأخرى الا أنهم لم يكونوا على استعداد لمسايرة

الحكم الرومانى وكان لديهم أكثر من سبب لمناوئة هذا الحكم ، وكان من الطبيعى أن يصب الاسكندريون نقمتهم على اليهود باعتبارهم صنائع الرومان وسدنة حكمهم وكان هذا من أهم أسباب العداء ضد اليهود فى الاسكندرية .

وعلى أى حال فانه لم يحدث عصر أغسطس أى شىء من شأنه أن يعكر على اليهود صفو حياتهم . وقد مر كذلك عصر خلفه الامبراطور تيبريوس بسلام بالرغم من أن هذا الامبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود فى روما . وفجأة فى صيف عام ٣٨ م فى عهد الامبراطور جايوس (كاليجولا) حدثت تلك الفتنة المروعة بين الاغريق واليهود وكانت موضوع عدة كتب وضعها فيلون الفيلسوف اليهودى الاسكندرى بقى منها كتابان الأول eis Flakkon والثانى presbeia pros Gaion وقد أورد فى الكتاب الأول تفصيلا دقيقا للفتنة واحداثها بينما خصص الكتاب الثانى للحديث عن سفارة يهود الاسكندرية الى الامبراطور جايوس فى روما وكان هو نفسه على رأس هذه السفارة . ولن ندخل فى التفاصيل الا بقدر ما يتطلبه الموقف لنتبين حقيقة تلك الفتنة وبواعثها وما أسفرت عنه من نتائج .

كان حاكم مصر وقت حدوث الفتنة هو أولوس أفيليوس فلاكوس Aulus Avillius Flaccus ولم يكن حديث عهد بمنصبه وانما كان قائما عليه منذ أيام تيبريوس . ونعرف من احدى البرديات أنه أوقف فى عهد هذا الامبراطور نشاط الاندية الاغريقية واصدر أمره بتحريم حمل السلاح الا باذن منه ويقص علينا فيلون أن ايسيدوروس أحد زعماء الاغريق ملأ الجمنازيوم بجماعات من محترفى الهتاف ليقذفوا فلاكوس بأقذع الشتائم وأن هذا الزعيم بادر الى مغادرة المدينة عندما اعترف المظاهرون بأنه المحرض لهم على احداث الشغب . ونتبين من ذلك أن الأمن لم يكن مستتبا تماما وأن الاغريق كانوا فيما يبدو مصدر للقلاقل والاضطرابات فى الاسكندرية وأن فلاكوس جلب على نفسه عداء الاسكندريين لموقفه موقفا حازما من محاولتهم احداث الفتنة فى المدينة .

ولم يخف فيلون اعجابة بكفاءة هذا الحاكم اذ قرر أنه استمر يحكم البلاد بنزاهة تامة طوال مدة حكم تيبريوس، بيد أن هذا الفيلسوف اليهودى لا يلبث أن يحمل على فلاكـــوس، ويتهمه بأنه باع نفسه بثمن بخس لافريق المدينة وذلك غداة تولية جايوس عرش الامبراطورية وعلل فيلون انحراف فلاكوس بأنه أصبح نهبا للهواجس والاوهام عندما علم بتولية جايـوس، واقدامه على التخلص من كبار الشخصيات فى روما مثل صديقه جيميللوس Gemellus حفيد تيبريوس وماركو Marco الذى بذل كل ما فى وسعه ليحمل تيبريوس علـــى أن يوصى بجايوس خلفا له • بل ان الامبراطور لم يتورع عــن قتل حميه سيلانـــــــوس Silanus عضو مجلس الشيوخ • وهكذا بدا لفلاكوس أنه لن يفلت من نقمـــــة الامبراطور لانه كان قد ادلى بشهادة فى غير صالح أمه التى أعدمت أيام تيبريوس • .

وقد استغل زعماء افريق الاسكندرية هذا الموقف ونجحوا فى استمالة الحاكم الى صفهم ووعدوه بالدفاع عنه أمام الامبراطور لعلمهم بشدة تعلقه بمدينتهم • وليرضى فلاكوس الافريق بدأ يتخلى عن سياسة عدم التحيز لاحد فأعرض عن اليهود وجانـــب الحق والصواب فى كل نزاع يكون اليهود طرفا فيه • وكان فضلا عن ذلك يدقق فـــى مدى قانونية القواعد القضائيـــة التى كان اليهود يستندون اليها فى دعاواهم ولا يسمح بأن يكون لهم أى امتيازات لم تكن لهم من قبل • وكانت الجالية اليهودية قـــــد اتخذت قرارا بتمجيد الامبراطور جايوس عندما تولى عرش الامبراطورية وطلب زعمـــاؤهـا من فلاكوس أن يسمح لممثلى الجاليـــة بالسفر الى روما لابلاغ هذا القرار الــــى الامبراطور ولكن فلاكوس لم يأذن لهم بالسفر ووعدهم بأنه سيبعث هذا القرار بنفسه الى الامبراطور مصحوبا بشهادته الشخصية على ولائهم • ولم يف الحاكم بوعده وأوجـــس اليهود خيفة أن يظن بهم الامبراطور عدم الولاء له ولحكومته •

وفى هذا الجو المتوتر كما صوره فيلون وصل الى الاسكندرية ذات ليلة من ليالى صيف عام ٣٨ م أجريبا حفيد هيرود الاكبر وقد عرفه الاسكندريون من قبل يهوديـــا

مفلسا فر من الاسكندرية هربا من دائنيه . ولكن جايوس نصبه ملكا على مملكة صغيرة على حدود يهودا باسم الملك اجريبا ويبدو أن هذا الملك اليهودى كان علم علم بمشاعر الاسكندريين نحوه ولذلك فانه كان يريد الابحار الى فلسطين عن طريق بلاد الاغريق وسوريا لولا أن الامبراطور أشار عليه بأن يسلك طريق الاسكندرية ولم يشأ أن يعارضه واحتاط للأمر بأن نزل المدينة ليلا واستخفى فى بيت ضيفة حتى يحين موعد استئناف رحلته الى فلسطين ولكن ما أن شاع نبأ قدومه فى الأوساط اليهودية فى المدينة حتى اعتبرت مجيئه فى هذا الوقت بالذات دليل العناية الالهية اذ كانوا يعلمون مكانته لدى الامبراطور فبسطوا أمامه قضيتهم وشكوا اليه موقف الحاكم الرومانى منهم وأقنعوه بأن يتجول فى المدينة محوطا بالحراس حتى يشعروا الاغريق والحاكم بما له من نفوذ وسلطان بيد أن زعماء الاغريق لم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم فأوغروا صدر الحاكم على اليهود وأسروا اليه أن هذا الملك اليهودى تجاوز حدوده اذ أحاط نفسه بنفس المظاهر التى ينبغى أن ينفرد بها الحاكم دون غيره . ولم يتهور فلاكوس فيقدم علانية على التعرض للملك اليهودى بما يسىء اليه واثر أن يبدى له بعض مظاهر الود حتى لا يجلب على نفسه غضب الامبراطور . وفى نفس الوقت صمم الاسكندريون على السخرية من هذا الملك اليهودى المفلس صنيعة الامبراطور فألبسوا أحد الحمقى تاجا من ورق وطافوا به فى الشوارع . وامعانا فى السخرية به كانوا يهتفون " مارين ... مارين " وهى كلمة سريانية تعنى الملك أو السيد وكان الاسكندريون يدركون تماما أن أجريبا عميل المرابين فى مدينتهم لن ينسى سخريتهم منه وأنه سيبلغ الامبراطور أمر تلك الاهانة التى لحقته . وكانوا يعرفون أن كليجولا يريد أن يحكم كملك هيلينستى مؤله ينبغى على كافة ابناه أن يعترفوا بألوهيته وأن اليهود لا يمكن أن يعترفوا به ربا . ولذلك عمد الاغريق الى أيقونات eikonas تحمل صور الامبراطور فى المعابد اليهودية . وفى هذا ـ كما يقول فيلون ـ كان الاغريق دعاة بقدر ما كانوا شريرين فقد اتخذوا من الامبراطور ستارا للتنكيل باليهود وقرنوا اسمه بجرمهم لعلمهم أن اليهود عندما يقاومون وضع مثل هذه الايقونات فى معابدهم يعدون عصاة وخارجين على طاعة الامبراطور . وقد قاوم اليهود فعلا هذا العمل دون استعمال أسلحة . ولكن تهج ذلك

حد وشأعمال العنف وحرق بعض دور عبادتهم وتدمير البعض الاخر . ويتهم فيلون فلاكوس بأنه لم يفعل شيئا لايقاف الاغريق عند حدهم وينعى عليه أنه تجاهل عدد اليهود الضخم فى مصر وفى الاسكندرية وأنه لم يفطن الى خطورة وضع الايقونات فى بيع اليهود اذ أن فى ذلك تحديا واضحا لليهود جميعا وانتهاكا لعاداتهم المتوارثة فكان لا يمكن أن يمر مثل هذا الحادث بسلام ولا سيما أنه اذا سرى خبر تلك الفتنة الى خارج مصر فان الشعوب الأخرى التى يقيم اليهود بين ظهرانيهم ستعمد بدورها الى انزال أشد الضربات باليهود . ولم يكتف اغريق الاسكندرية بما فعلوه بل طلبوا الى فلاكوس أن يحدد الوضع القانونى ليهود المدينة فاصدر قراره الذى أعلن فيه أنهم أجانب وغرباء عن المدينة . وبهذا القرار وجه فلاكوس ضربة قاضية الى حقهم فى أن يكونوا أعضاء فى جالية وكانت هذه العضوية هى الضمان الوحيد لسلامتهم اذا ما تعرضوا لضروب النقمة والعذاب وزاد على ذلك بأن أمر بأن يعاقب اليهود بالطريقة التى كان يعاقب بها المصريون وليس على نحو ما كان يعاقب به اغريق الاسكندرية . وقد فسر اغريق الاسكندرية قراره بأن ليس لليهود الحق فى تجاوز الحى الذى كان مخصصا أصلا لاقامتهم فحشروا فى هذا الحى الذى ضاق بهم حتى التمسوا المأوى فى أكوام القمامة خارج المدينة أو على الساحل ودمر أكثر من أربعمائة مسكن من مساكن اليهود التى طردوا منها ونهبت متاجرهم وفتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحرم على اليهود الخروج الى الأسواق . واستدعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به وبعد أن هذا الاجتماع لم يسفر عن شىء أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستحقوا العقاب فجلدوا علنا فى مسرح المدينة مما أدى الى وفاة بعضهم واصابة البعض الاخر بمرض طويل عضال . وبلغت الفتنة ذروتها يوم ٣١ أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الامبراطور اذ اتسمت الأحداث بالعنف الذى بلغ حد الفوضى الشاملة واستمتع اغريق الاسكندرية بأكبر قدر من متعة وهم يشاهدون العذاب ينزل باليهود ألوانا . وفجأة ألقى القبض على فلاكوس بأمر من الامبراطور ورحل من فوره تحت حراسة

مشددة الى روما حيث أسرع ايسيد وروس ولامبون من زعماء الاغريق ليتهماه بالخيانة العظمى • وقد خصص فيلون حوالى خمس كتابه eis Flakkon للحديث عن المصير الحالك الذى كان ينتظر هذا الحاكم الذى اعتبره لعنة سلطت على بنى قومه • والواقع أن فلاكوس كان بين شقى الرحا بين اتهامات أجريبا من ناحية واتهامات زعماء الاسكندرية الذين قلبوا له ظهر المجن من ناحية أخرى فصودرت أملاكه ونفى الى جزيرة أندروس حيث لقى مصرعه بأمر من الامبراطور •

والذى يعنينا من قصة هذه الفتنة عدة أمور :

أولا — حدوث بوادر الفتنة قبل مجئ أجريبا واتهام فيلون لفلاكوس أنه جانب العدالة فى كل ما يمس اليهود نتيجة لاستغلال الاغريق خوف الحاكم من بطش الامبراطور •

ثانيا — اندلاع لهيب الفتنة فى أعقاب مجئ الملك اليهودى وطوافه بالمدينة محوطا بحراسة استجابة لرغبة اليهود •

ثالثا — صدور قرار فلاكوس بأن اليهود أجانب وغرباء عن المدينة •

رابعا — وضع الايقونات التى تحمل صور الامبراطور فى بيع اليهود وانتهاك حرمة هذا البيع واستغلال الاسكندريين اصرار الامبراطور جايوس على حمل رعاياه على الاعتراف بألوهيته •

خامسا — مطاردة اليهود الى الحى الرابع وهدم مساكنهم وتخريب متاجرهم •

سادسا — العقاب الذى أنزله فلاكوس بشيوخ اليهود •

سابعا — بلوغ الفتنة ذروتها يوم عيد ميلاد الامبراطور فى ٣١ أغسطس عام ٣٨ م •

ثامنا ـ اعتقال فلاكوس فى أكتوبر من نفس هذا العام وقصة نهايته .

وبعد أن هدأت الأحوال فى المدينة وجد اليهود أنه لابد من رفع مظلمتهم الى الامبراطور ولم يعترض فيترازيوس بوليو C.Vitrasius Pollio الحاكم الرومانى على طلب اليهود ارسال بعثة تمثلهم الى روما . وحين كذلك للاسكندريين بارسال بعثة مماثلة . وفى أواخر خريف عام ٣٨ م أو ٣٩ م غادرت الاسكندرية الى روما البعثة اليهودية التى اختير فيلون لرئاستها والبعثة السكندرية التى كان يرأسها أبيون وتضم ايسيدوروس بين أعضائها . وقد سجل فيلون فى كتابه " السفارة الى جايوس Presbeia pros Gaion قصة الوفد اليهودى وما جرى من مناقشات بينه وبين الامبراطور جايوس . واهتم فيلون باظهار الامبراطور واقعا تحت تأثير هلكيون Helcion ذلك الرجل الذكى الذى كان يوما عبدا يعيش فى الاسكندرية ثم نال حظوة لدى الامبراطور وكان على علم دقيق بشرائع اليهود وتقاليدهم ولذلك كان الامبراطور يستشيره فى كل ما يتعلق باليهود . وقد استقبل الامبراطور السفارتين السكندرية واليهودية فى صيف عام ٤٠ م ولم يتجاوز الأمر تبادل التحية ثم غادر الامبراطور روما الى كمبانيا . وفى انتظار مقابلة ثانية كانت الأمور قد تطورت تطورا سيئا بالنسبة لليهود اذ تناهى الى الامبراطور أنباء فتنة حدثت فى يامنيا Jamnia وهى مدينة تقع على ساحل يهوذا وكل سكانها من غير اليهود قد أقاموا مذبحا للامبراطور فثار اليهود ودمروا المذبح .

وردا على تحدى اليهود أمر الامبراطور بترونيوس P. Perronius بصنع تمثال له ووضعه فى قدس الأقداس فى هيكل أورشليم . ووجدت البعثة اليهودية نفسها فى موقف حرج اذ لم يعد الأمر مقصورا على ظلم محدود حاق بيهود الاسكندرية يلتمسون من الامبراطور رفعه عنهم بل ان الشعب اليهودى قاطبة أصبح عندئذ فى محنة عليه أن يكافح فى سبيل الخلاص منها وكان من الطبيعى أن تنكمش مشاكل يهود

الاسكندرية لتحتل المكانة الثانية بعد هاكل يهود الامبراطورية وخاصة لليهود خصوصا . وقد اهتم اجريبا الملك اليهودى باقناع الامبراطور بالعدول عن وضع تمثاله فى الهيكل واذا كان قد نجح فى ذلك فلا يبعد أنه وفق فى جعل الامبراطور يحسن استقبال الوفد اليهودى فى المرة الثانية كانت مطالب اليهود تتلخص فى المطالبة بحقهم فى مباشرة طقوس دينهم بحرية تامة وتحديد وضع جاليتهم فى الاسكندرية باعتبار أن لهم الحق فى التمتع بحقوق المواطنة الكاملة فى تلك المدينة . وكانت المقابلة غريبة فى نوعها اذ كان الامبراطور يتفقد أعمال الترميمات والتحسينات فى قصره ويخاطب العمال فى حين كان الوفدان اليهودى والسكندرى يلاحقانه ويجدان فى أثره . واتهم الوفد الاغريقى اليهود بأنهم لا يعترفون بتأليه الامبراطور ورد اليهود بأنهم قدموا القرابين من أجله ثلاث مرات ، مرة عند توليه عرش الامبراطور ومرة ثانية عندما أبل من مرضه ومرة ثالثة عندما شرع فى الاعداد لحملته على ألمانيا ورد عليهم الامبراطور بأن ذلك لا يجدى من دراسته لأنهم قدموا القرابين لرب غيره . ثم أنهى الامبراطور هذه المقابلة العجيبة بقوله ، " اننى لا أعتبر هؤلاء القوم شريرين بقدر ما هم تعساء وحمقى لأنهم لا يؤمنون بألوهيتى " .

وختم فيلون كتابه عن سفارته الى جايوس بقوله أن الرعب الذى ملأ قلوب الوفد اليهودى لم يكن اشفاقا منهم على أنفسهم بل انهم كانوا يشعرون بما عساه أن يحدث اذا فشلت سفارتهم اذ ربما تكررت من جديد مأساة الاسكندرية فى أى مدينة أخرى من مدن الامبراطورية يعيش فيها اليهود . ولم يخبرنا فيلون بما أسفرت عنه سفارته الى الامبراطور او ماتم بشأن مطالبها ولعله أنهى رسالته التى لم تصلنا خاتمتها بالحديث عن النهاية المؤسفة التى انتهت بها حياة جايوس ولعله أيضا انتهز هذه الفرصة ليدلل على أن فى تلك النهاية عبرة وتذكرة بأن رب اليهود لن يتخلى أبدا عن شعبه المختار .

ومن الذى يجب أن يتحمل تبعة الأحداث التى وقعت فى الاسكندرية سنة ٣٨ م ؟ ان فيلون يلقى التهمة على فلاكوس وكاليجولا • أما الأول فلأن زعماء الاسكندرية وجدوا فيه صيدا سهلا يستطيعون عن طريقه تحقيق أغراضهم أما الثانى فلأنه باصراره على تأليه نفسه وتجاهل حقوق اليهود المكتسبة أتاح للاغريق الفرصة للتنكيل بهم وارغامهم على وضع تماثيله فى معابدهم • ولعل فيلون عندما قدم كتابه الأول الى الحاكم الرومانى بوليو Pollio الذى خلف فلاكوس كان يقصد انذاره بما سوف يحدث له أن أساء استخدام سلطته وتجاوز حدود وظيفته بحرمانه اليهود من امتيازاتهم • وعندما أتم كتابه الثانى وقدمه الى الامبراطور كلوديوس كان يريد تذكيره بالمصير الذى لقيه جايوس لظلمه اليهود واعراضه عنهم • ويلقى فيلون التبعة كذلك على اغريق الاسكندرية لكنه حرص على أن يبين أنهم لم يكونوا جميعا مسئولين عن تلك الحوادث فقد قصر اتهامه على جماعة من الرعاع والمهيجين من الزعماء •

ولا جدال فى أن اغريق الاسكندرية والامبراطور وفلاكوس يجب أن يتحملوا قدرا من المسئولية عن هذه الأحداث اذ أنهم جميعا أسهموا فيها • ويستوقف النظر أن فيلون لم يلق أى جانب من التبعة على اليهود • لكنه لم ينتظر منه أن يتخذ غير هذا الموقف بوصفه يهوديا ورئيس البعثة التى تولت الدفاع عن اليهود • واذا كان قد حملنا اغريق الاسكندرية والامبراطور وفلاكوس نصيبا من المسئولية عن تلك الأحداث فان الانصاف يقتضينا أن نقرر أن اليهود أنفسهم بما جبلوا عليه من محاولة استغلال كافة الفرص لمصلحتهم كانوا السبب فيما أصابهم فقد كان الباعث الأصلى على الفتنة مناصرتهم الحكم الجديد ومداهنتهم الرومان وكان السبب المباشر لاندلاع لهيب الفتنة محاولتهم استغلال وجود أجريبا بين ظهرانيهم وبذلك أثاروا ثائرة الحاكم والاغريق عليهم •

اننا اذا سلمنا جدلا بصدق دعوى فيلون والاتهامات التى كالها لفلاكوس فان معنى ذلك أن اليهود ارتكبوا فى حق أنفسهم حماقة كبرى لأنهم من ناحية أخرى

بالغوا فى تقدير صداقة الامبراطور لاجريبا ومن ناحية أخرى لم يدخلوا فى حسابهم عداء الاغريق لهم وازورار الحاكم عنهم وتمسك الامبراطور بأن يعهده رعاياه واحتمال استغلال الاغريق ذلك ضدهم • لقد أغرى اليهود ما تمتعوا به من عطف الامبراطورين أغسطس وتيبريوس وما منحوه من حقوق كان من بينها حرية العبادة فأغمضوا عيونهم عن نذر كانت كفيلة بردهم الى صوابهم فقد كانت عداوة الاغريق لهم واضحة وبطش كاليجولا بأقرب الناس له تدعو الى الحذر منه وعدم الاطمئنان اليه •

ويحدثنا فيلون بأن اليهود بما توافر لهم من قوة العقيدة ورسوخ الايمان رفضوا بعناد التحول قيد أنملة عن ما هو حق لهم • ولذلك أصبح مصيرهم معلقا فى كفة القدر لأن كاليجولا اعتبر نفسه الها وأنه هو القانون • وبذلك أصبحت حقوق اليهود وامتيازاتهم رهنا بمشيئة الامبراطور ان شاء حرمهم منها • وانى أوافق على الرأى القائل بأن فيلون كان يخفى حقده على الامبراطورية الرومانية وراء نقاب من المديح الزائف للحاكم الرومانى الذى يخدم مصالح اليهود ويحترم حقوقهم وامتيازاتهم • وانى أرى كذلك أن نغمة الكراهية للحكومة الرومانية التى ترددت بوضوح فى السفر الثالث من كتاب المكابيين عادت لتردد من جديد فى كتابه فيلون " ضد فلاكوس " و " السفارة الى جايوس " •

وكان من الطبيعى أن تفضى أحداث الاسكندرية وفلسطين الى اضطراب اليهود وانزعاجهم مما حدا بالملكين اليهوديين الشقيقين أجريبا الأول وهيرود الى المبادرة بالتوسط لدى الامبراطور كلاوديوس عند توليه عرش الامبراطورية ليعيد الهدوء والطمأنينة الى نفوس اليهود فى الاسكندرية وفى سوريا • وقد استجاب كلاوديوس لمسعاهما وبعث الى الاسكندرية قرارا أكد فيه كافة الحقوق والامتيازات التى كانت لليهود قبل سنة ٣٨ م والقى على جايوس وما أصابه من جنون تبعة ما حدث فى المدينة من فتن ومشاحنات وما حاق باليهود من جزاء رفضهم مخالفة شريعتهم وقبول فكرة تأليه وختم القرار بتحذير كل من اليهود والاغريق من أحداث أى شغب أو اضطرابات جديدة فى

المدينة • وما لبث الامبراطور أن أصدر قرارا آخر لصالح كافة يهود الامبراطورية استجابة منه أيضا لالتماس ملكى اليهود وقد أورد ذلك فى ديباجة هذا القرار الذى منح بمقتضاه يهود الامبراطورية نفس حقوق يهود الاسكندرية بيد أنه لم يفته أن يحذر اليهود فى الوقت نفسه من الاستخفاف بالمشاعر الدينية لغيرهم من الشعوب غير اليهودية •

ويبدو أن يهود الاسكندرية لم يخلدوا الى السكينة • اذ مالبثوا أن شرعوا أسلحتهم فى وجه الاغريق وأيقظوا الفتنة من جديد بعد أن استقدموا يهودا من داخلية مصر ومن سوريا فأصدر الامبراطور كلاوديوس أوامره الى حاكم مصر لقمع الفتنة بكل حزم وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف • ومما يدل على عنف هذه الفتنة أن كلاوديوس استعمل كلمة " حرب " Polemos عند الحديث عنها فى رسالته المشهورة التى بعث بها الى الاسكندرية • وتدل مهاجمة اليهود لاغريق الاسكندرية على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التى قد تسفر عنها مقابلة وفد هم لجايوس قبل أن يلقى مصرعه فى منتصف فبراير سنة ٤١ م • بل أعدوا عدتهم للانتقام من اغريق الاسكندرية • لكن الحاكم الرومانى هذه المرة كان أكثر حزما من فلاكوس فلم يسمح للفتنة أن تستشرى على نحو ما حدث سنة ٣٨ م •

وما أن هدأت الأحوال حتى بادر كل من الاغريق واليهود الى ارسال وفد عنهم الى روما وكان الهدف الظاهر للبعثتين تهنئة الامبراطور بتوليته عرش الامبراطورية ومحاولة التخلص من تبعة مسئولية الحوادث التى جرت مؤخرا فى الاسكندرية •

وقد عثر فى قرية فيلادلفيا (جرزة) فى الفيوم على رسالة بعث بها الامبراطور كلاوديوس الى مدينة الاسكندرية ردا على مطالب الوفدين الاغريقى واليهودى وقام الحاكم الرومانى باذاعة هذه الرسالة على سكان المدينة فى ١٠ نوفمبر ٤١ م •

وتنقسم الرسالة الى قسمين : قسم يتعلق بمطالب الاغريق والرد عليهـــا والقسم الآخر يتعلق بمطالب اليهود والرد عليها أيضا كما يتناول موضوع النزاع بـين الاغريق واليهود .

ومن أهم ما تضمنه القسم الأول :

أولا ـ قبل الامبراطور تكريم مواطنى الاسكندرية لشخصه وترحيبه باعرابهم عـن الولاء لاسرة أغسطس .

ثانيا ـ قبل الامبراطور بعد تردد أن يقام فى روما تمثال ذهبى يمثل الســلام الذى حققه أغسطس وكلاديوس .

ho klaudianês Eirenes Sebastês (Pax Augusta Claudiana)

وذلك حتى لا يهتم بالميل الى الغرور وقبل كذلك أن يحمل تمثال آخر فى بعـض الأعياد فى الاسكندرية .

ثالثا ـ رفض أن يعين كاهن أعظم له أو أن تقام معابد من أجل عبادته لأنـه لا يريد أن يسلك سلوكا معيبا ولأن انشاء المعابد لا يكون الا للآلهة وحدها .

رابعا ـ أكد للمواطنين الامتيازات المترتبة على تمتعهم بحقوق المواطنـة السكندرية والتى أقرها أغسطس نفسه .

خامسا ـ تخلص بلباقة من اجابة المواطنين الى طلبهم الخاص باعادة انشاء مجلس الشورى Boule فى المدينة باحالة الموضوع على حاكم مصر ليقوم ببحثـه ودراسته .

ويهمنا من بين مظاهر التكريم التى أراد الاسكندريون احاطة كلاوديوس بهـا اقتراحهم اقامة تمثالين من الذهب يمثل أحدهما فكرة السلام الذى حققه كل من أغسطـس وكلاوديوس وموافقته بعد تردد على تنصيبه فى روما وقد اختلفت الآراء فى تفسير تردد كلاوديوس فثمة رأى يقول أن هذا التمثال يرمز فى الواقع الى انتصار الرومان على اليهود

الثائرين فى الاسكندرية فى فبراير سنة ٤١ م فيتون الغرض من اقامة هذا التمثال تخليد ذكرى اعادة السلام وقهر اليهود وتخلص الاغريق ببراءة من مسئولية حوادث سنة ٤١ م والقاء تبعيتها على اليهود غير أن كلاوديوس وجد أنه ليس من حصافة الرأى فى شىء اقامة التمثال فى الاسكندرية لأن ذلك يعد تحيزا منه الى جانب الاغريق ومتابعته لسياسة جايوس غير المتزنة نحوهم تلك السياسة التى تسببت بطريق مباشر أو غير مباشر فى مأساة سنة ٣٨ م • وان مثل هذا التصرف من جانب الامبراطور قد يفضى الى متاعب جديدة كان فى غنى عنها ولذلك اختار أن يقام التمثال فى روما بدلا من الاسكندرية وهناك رأى آخر يتلخص فى أن الامبراطور لم يحدد المسئول عن حوادث سنة ٤١ م وأن الحاكم الرومانى لم يناصر فريقا على فريق وانما جعل نصب عينيه أن يخمد الفتنة وأن يعيد النظام الى المدينة• وحتى مع التسليم بأن اليهود كانوا هم المعتدين فانه من الصعب أن تتصور أن الاسكندريين لم يحركوا ساكنا لرد عدوانهم واذا كان قد أصاب اليهود أذى على يد الجيش الرومانى فلابد من أنه قد أصاب الاغريق أذى مثله ولذلك ليس هناك ثمة ما يدعو الى الربط بين فكرة اقامة هذا التمثال وفكرة الانتقام وابراز النصر الذى حققه الجيش الرومانى على اليهود • وفضلا عن ذلك فانه لم يرد فى رسالة كلاوديوس ما يشير الى أن اغريق الاسكندرية اقترحوا بأن تكون الاسكندرية مقرا لهذا التمثال• واذا كان الامبراطور قد تردد فى اقامته فى روما فان سبب هذا التردد هو أن اقامة مثل هذا التمثال فى العاصمة الرومانية سيجعل الرومان يعقدون على الفور مقارنة بينه وبين أغسطس الذى أقيم من أجله تمثال Pax Augusta رمزا للسلام الذى منحه للامبراطورية فى الوقت الذى لم يكن النصر والجيش الرومانى قد عرفا بعد فى كلاوديوس من الصفات ما يؤهله لأن يقف مع أغسطس على قدم المساواة فيصبح بذلك أضحوكة الناس فى روما •

ومما يجدر بالملاحظة أنه اذا كان الامبراطور قد قبل بعض مظاهر التشريف التى خلعها عليه الاسكندريون فانه رفض أن يقام له معبد من أجل عبادته ، ويبدو

انه قد أراد ألا يقع فيما وقع فيه كاليجولا خشية أن يؤدى ذلك الى وقوع صدام بين اليهود والاغريق ، ويتضح أيضا من هذا القسم من رسالة الامبراطور الخاص باغريق الاسكندرية أنه لم يشأ استحداث جديد لم يفعله أغسطس اذ بينما أكد للاسكندريين ما سبق أن منحه لهم أغسطس من امتيازات رفض مثله بالسماح لهم باعادة تشكيل مجلس الشورى •

أما القسم الثانى من رسالة الامبراطور فيتضمن النص التالى :

" وأما عن الفريق المسئول عن الشغب والنزاع ـ وان شئتم الصدق ـ عن الحرب مع اليهود فعلى الرغم من سفرائكم : ولا سيما ديونيسو من ابن ثيون ، قد دافعوا (عن قضيتكم) دفاعا مجيدا عندما ووجهوا (بخصومكم) ، الا اننى لم أشأ أن أقوم بتحقيق دقيق ، مختزنا فى صدرى سخطا دفينا على من يبدأون (العدوان) من جديد • وابلغكم بصراحة أنه ان لم تكفوا عن تبادل العداوة المستحكمة القاتلة فسوف اضطر الى أن أظهر لهم كيف يصير الحاكم الشفوق عندما يتملكه غضب هو محق فيه • ولهذا فاننى ، من ناحية ، أناشد الاسكندريين أن يبدأوا روح التسامح والود لليهود الذين يعيشون فى المدينة نفسها منذ زمن طويل والا ينتهكوا شعائر عباداتهم الدينية ، بل ان يدعوهم يمارسون عاداتهم التى مارسوها أيام اغسطس المؤله والتى أقررتها انا كذلك بعد أن سمعت أقوال الطرفين • ومن ناحية أخرى فاننى آمر اليهود صراحة الا يضيعوا جهدهم فى السعى وراء (حقوق) أكثر مما حصلوا عليه من قبل والا يرسلوا بعد اليوم سفارتين كأنهم يعيشون فى مدينتين ، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل ، والا يقحموا أنفسهم فى مباريات معاهد التربية أو منظمات الشباب بل أن ينتفعوا بما فى حوزتهم (من

امتيازات) ويتمتعوا فى مدينة ليست مدينتهم بوفرة من الخيرات الجمة وعليهم ألا يستقدموا أو يستدعوا يهودا يفدون (الى المدينة) من سوريا أو من مصر عن طريق النهر مثيرين فى نفسى مزيدا من الريبة ولئن لم يمتثلوا لانتقمن منهم بكل الوسائل بوصفهم قوما ينشرون الوباء الشامل فى أنحاء المعمورة • فان كف كل منكما عن هذه الاعمال ورضى أن يعيش فى تسامح وود مع الاخر نسوف أولى من جانبى اهتماما للمدينة التى تربطها بنا صداقة تقليدية قديمة " •

ويتبين من هذا النص أن الامبراطور لم يشأ القيام بتحقيق دقيق وذلك دفنا للأحقاد حتى يخلد كل من الاغريق واليهود فى المدينة الى السكينة والهدوء • ولقد كان الامبراطور قد ذكر فى رده " وأناشد للمرة الثانية الاسكندريين أن يبدوا روح التسامح نحو اليهود " فان بعض المؤرخين يرى أن الامبراطور أراد أن يؤكد ما سبق أن ذكره فى قراره الذى أصدره الى الاسكندرية فى مستهل حكمه استجابة لرجاء أجريبا وليس نتيجة لتحقيق أجراه الامبراطور فعلا لمعرفة المسئول عن حوادث عام ٤١ م •

واختلف المؤرخون فيما بينهم بشأن البعثتين اليهوديتين اللتين أشار اليهما الامبراطور اذ ذهب بعضهم الى القول بأن أحداهما كانت بعثة فيلون التى جاءت على عهد كاليجولا وكانت لم تبرح روما بعد • أما الثانية فهى تمثل وفد زعماء اليهود الذين أحدثوا فتنة عام ٤١ م • وقال البعض الاخر أن أحد الوفدين كان يمثل المتزمتين من اليهود وأن الوفد الثانى كان يمثل المتحررين منهم • وهناك رأى ثالث يقول صاحبه بأن احدى البعثتين كانت تمثل مواطنى الاسكندرية من اليهود ، بينما البعثة الثانية تمثل اليهود العاديين الذين لم يكن لهم حق المواطنة فى المدينة •

ونحن وان كنا نميل الى الاخذ بالرأى الثانى الا أننا لا نستطيع رفض الرأى الأول تماما بينما نرفض الرأى الثالث لأن اليهود لم يكونوا أبدا مواطنين فى

المدينة كما سنوضح ذلك فى الفصل الخاص بالوضع المدنى لليهود • ومهما يكن من شئ فان الامبراطور أوسع صدره للوفدين معا رغم ضيقه بهما •

ومثل ما كان الامبراطور صريحا فى رفض طلب الاسكندرية ، اقامة مجلس شورى كان عنيفا وصريحا الى أبعد الحدود عندما أنذر اليهود بأن يقنعوا بما لديهم من امتيازات كفلتها لهم الادارة الرومانية منذ أيام الموّله أغسطس • وأنذرهم أيضا بالا يقحموا أنفسهم فى مباريات النوادى وتدريبات الشباب وبذلك يكون قد حرم عليهم الجمنازيوم • ثم كان الامبراطور بعد ذلك واضحا كل الوضوح وهو يذكر اليهود بأنهم يقيمون فى مدينة ليست مدينتهم • وبذلك يكون كلوديوس قد أكد ما سبق أن قرره فلاكوس من أنهم أجانب وغرباء عن المدينة •

ورغم ما زعمه الامبراطور من أنه لم يقم ببحث دقيق لمعرفة المسئول عن الفتنة الا أننا نرى فى مناشدته اليهود الا يستقدموا أنصارا من سوريا أو من داخل مصر ، وفى انذاره بأنهم اذا فعلوا ذلك فانه سينتقم منهم كقوم ينشرون الوباء دليلا على تحديد المسئولية ورغبته فى اشعار اليهود بنصيبهم فيها •

ويكشف هذا الخطاب عن شخصية كلاوديوس والمامه بالموقف وحزمه فى معاملة الاسكندرية واليهود على السواء بطريقة لا تجافى العدالة ولا تجعله عرضه للاتهام بالميل الى أحد الفريقين • وقد كان صادقا عندما أعلن أنه سيتبع سياسة الموّله أغسطس اذ رأيناه يتمشى مع مطالب كل من اليهود والاغريق بقدر ما يسمح به استتباب الأمن والنظام والوضع القانونى القائم بالفعل فى المدينة فعندما طالب الاسكندريون باقامة مجلس شورى كما يؤخذ من رد الامبراطور تخلص من الحاحهم باحالة الموضوع على الحاكم الرومانى فى مصر لدراسته • وعندما طالب اليهود بحقوق المواطنة أو بمثل حقوق الاسكندريون رفض ذلك بكل حزم وصراحة •

ويؤخذ من احدى البرديات التى تنتمى الى المجموعة المعروفة باسم أعمال شهداء الاسكندرية أن الطريقة التى عالج بها كلاديوس المسألة اليهودية لم تعجب ايسيدوروس الزعيم الاسكندرى ورئيس الجمنازيوم بالاسكندرية اذ يبدو أنه أرجع القرارات التى اعترف فيها بحقوق اليهود وامتيازاتهم الى قوة تأثير أجريبا على الامبراطور ولذلك رأى ضرورة التخلص منه باتهامه أمام الامبراطور • وقد سبق لايسيدوروس أن استدعى الى البلاط الامبراطورى شخصيات بارزة فى المجتمع الرومانى وكسب دعواه ضدهم • وكان بينهم اثنان من أصدقاء كلاوديوس • وقد لقيا مصرعهما على يد كاليجولا • وقد حفظت لنا البردية التى نحن بصددها ما دار من حوار فى المجلس القضائى الذى عقده الامبراطور للاستماع الى الوفد الاسكندرى الذى كان يرأسه الزعيمان الاسكندريان ايسيدوروس ولامبون • ويرينا هذا الحوار أن الامبراطور اتخذ منذ البداية موقفا عدائيا من ايسيدوروس اذ حذره من أن يسب صديقه أجريبا فيرد ايسيدوروس :

مولاى قيصر ، ماذا يعنيك من أمر يهودى كأجريبا لا يساوى شروى نقير ؟

فيسأله كلاوديوس ، أصحيح يا ايسيدوروس انك لبن راقصة فى جوقة مسرحية ؟

فيرد الزعيم الاسكندرى : أنا لست عبدا ولست لبن راقصة وانما أنا مدير معهد التربية بمدينة الاسكندرية المشهورة ، اما أنت فابن غير شرعى لسالومى اليهودية •

ووجه ايسيدوروس الاتهام لأجريبا بأن اليهود يرغبون فى اثارة سواء بسواء لانهم يدفعون ضريبة الرأس مثلهم •

ولما كانت هذه المجموعة من الوثائق المتعلقة بأعمال شهداء الاسكندرية تحرص على اظهار الاباطرة بمظهر الممالئين لليهود ضد الرومان فلا عجب أن هذه الوثيقة التى عرضنا لها أظهرت كلاوديوس بمظهر لا يتفق مع ما عرفناه عن هذا الامبراطور من واقع بردية لندن رقم ١٩١٢ ومن مصادر أخرى ذلك أنها تشهد بحسن ادراكه وميله الواضح الى تحقيق العدل • ويلاحظ أن هذه الوثيقة قد بالغت بشكل

مفضوح فى النيل من كلاوديوس فانه لمما لا يقبله العقل أن يذهب ايسيدوروس فى شططه الى حد الاجتراء على وصف الامبراطور بأنه ابن غير شرعى ومن سلالة يهودية حتى اذا كان هذا الوصف صحيحا فما بالنا وهو غير صحيح • ازاء ذلك نرى أنه ليس لهذه الوثيقة ومثيلاتها من وثائق أعمال شهداء الاسكندرية قيمة تاريخية الا من حيث أنها تصور مشاعر المجتمع الاسكندرى تجاه الرومان واليهود • أما ما جاء فى مثل هذه الوثائق من تفاصيل فيجب تناوله فى حذر شديد •

واذا كانت قلة من المؤرخين ترجع بوثيقة " أعمال ايسيدوروس " Acta Isidori الى عام ٤١ م وترجع حدوث المحاكمة المشار اليها فى هذه الوثيقة الى ما قبل مثول وفدى الاغريق واليهود بين يدى الامبراطور وصدور القرارات التى تضمنتها بردية لندن رقم ١٩١٢ فاننا نرى مع الكثرة الغالبة أن وثيقة أعمال ايسيدوروس ترجع الى عام ٥٣ م وبذلك تكون لاحقة لبردية لندن • وعلى كل حال مهما كان الترتيب الزمنى لهاتين الوثيقتين فان هذا لا يؤثر فى النتائج التى انتهت اليها تلك الأحداث وهى : أن الامبراطور أقر لليهود بكافة الحقوق والامتيازات السابقة التى كانت لهم وأصبح فى امكانهم حينئذ أن يباشروا فى حرية تامة عباداتهم وطقوسهم الدينية وأن يعيشوا وفقا لتقاليدهم المتوارثة ولكن من ناحية أخرى أغلقت أمامهم كل السبل التى كان من الجائز أن تفضى بهم الى نيل حقوق المواطنة فى الاسكندرية وبذلك ظلوا بعيدين عن هيئة مواطنى المدينة لا يستطيعون الاندماج فيها أو نيل امتيازاتها وبالتالى فشلت كل محاولة بذلت للتوفيق بين اليهود والاغريق واذا كان الاغريق قد عبروا عن موقفهم من اليهود بكلمات واضحة لا تعوزها الصراحة فحواها أنهم لا يريدون فى صفوفهم قوما غرباء عنهم وكان قرار فلاكوس صريحا هو الآخر عندما اعتبر اليهود غرباء وأجانب عن المدينة ، فان الامبراطور كلاوديوس بابعاده اليهود عن الجمنازيوم ومبارياته قد قذف بهم فى أحضان تلك العناصر المتطرفة التى كانت تعارض كل محاولة للتقريب بين اليهود وبين الاغريق •

وبعد مضى زهاء ثلاثة عشرة عاما على تلك الأحداث التى وقعت على عهد كلاوديوس انفجر الموقف مرة أخرى فى الاسكندرية فى عهد خلفه الامبراطور نيرون • وبيان ذلك أنه فى ١٦ مايو سنة ٦٦ اندلع لهيب الثورة فى أورشليم نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التى اتفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود فى يهوذا وتطور الأمر الى الثورة ضد روما نفسها وظهور عدة حركات ارهابية قامت بها جماعات متطرفة كان من أبرزها عصبة الخنجر • وازاء ذلك عدلت السلطات الرومان فى مصر عن الحملة التى كانت تعد العدة لارسالها الى بلاد النوبة وبادرت بارسال جميع الفرق الرومانية فى مصر الى فلسطين فيما عدا الحامية العادية التى كان يعهد اليها بالمحافظة على الأمن فى العاصمة • وفى أعقاب ذلك وقع الصدام بين اليهود والاغريق فى الاسكندرية ولعله كان انعكاسا للأحداث الجارية فى فلسطين • ومصدرنا الوحيد عن حوادث الاسكندرية عام ٦٦ م هو يوسف • الذى يحدثنا بأن الفتنة بدأت عندما اجتمع حشد كبير من الاغريق فى الملعب المدرج بالعاصمة للتباحث فى ارسال بعثة معينة الى الامبراطور نيرون • وحدث أن تسلل الى الاجتماع عدد كبير من اليهود ما أن رآهم الاغريق حتى صاحوا : "جواسيس ... أعداء ... " واندفع الاسكندريون للقبض عليهم ولكن غالبية اليهود تمكنوا من الفرار وأراد الاسكندريون أن يحرقوا منازل أولئك اليهود الذين وقعوا فى أيديهم • وعندئذ سارع جمع حاشد من اليهود لنجدة أخوانهم • وأول الأمر رجموا الاغريق بالحجارة ثم حاولوا اضرام النار فى الملعب مهددين بحرق جميع من فيه من الاغريق • وكاد اليهود أن ينجحوا فى تنفيذ ما هددوا به لولا تدخل تيبريوس يوليوس اسكندر حاكم مصر اليهودى الصابئ • الذى حاول أولا أن يرد اليهود الى جادة العقل والصواب حتى لا يضطر الى استخدام القوة • ولما لم يستجيبوا الى نصحه استعان عليهم بالجند الرومان الذين كانوا فى طريقهم من برقة الى فلسطين كما استعان بالفرقتين المعسكرتين فى نيقوبوليس وأباح للجند الرومان نهب متاجر اليهود واستباحة مساكنهم • وأورد يوسف وصفا مؤثرا لما حدث فى الحى الرابع حيث سالت الدماء أنهارا وقتل من اليهود خمسون ألفا ولم يرحم الجند شيخا أو طفلا •

ويؤخذ على رواية يوسف أولا اغفال ذكر الغرض الذى من أجله كان الاسكندريون يريدون ارسال بعثتهم الى نيرون . ولعل غرضهم كان التعبير للامبراطور عن ولائهم ازاء الفتنة اليهودية القائمة فى أورشليم . ويؤخذ عن تلك الرواية أيضا اغفال ذكر السبب الذى من أجله حرص اليهود على شهود هذا الاجتماع لمواطنى الاسكندرية . أكان غرض اليهود مجرد الاستطلاع أم كانت لدى الذين شهدوا منهم الاجتماع تعليمات محددة باثارة الشغب اذا تبينوا أن أغريق الاسكندرية سيقومون بعمل فى غير صالحهم ؟ ومهما كان غرض اليهود من وراء تسللهم الى اجتماع عقده خصومهم فان قيامهم بهذا العمل فى ذلك الجو المكفهر فضلا عن رفضهم الاستماع الى نصيحة الحاكم قبل أن يستفحل الأمر يدل على سوء نيتهم ويلقى عليهم تهمة ما أعقب ذلك . ويستوقف النظر المهارات المعتدلة التى استخدمها يوسف فى حديثه عن الحاكم الرومانى تيبريوس يوليوس اسكندر . ولعل ذلك يفسر برغبة يوسف فى تملق هذا الحاكم الذى كان يشغل أسمى منصب رومانى فى مصر فضلا عن أنه كان أحد أركان حرب تيتوس ومستشاره فى حصار أورشليم ومن ذلك لم يستطع يوسف اخفاء ألمه للقسوة والعنف البالغين فى اخماد ثورة اليهود ولا يبعد أن يكون قد بالغ فى تقدير عدد اليهود الذين هلكوا نتيجة لاخمادها على هذا النحو .

وفى رأى بعض المؤرخين أن الطبقة الدنيا من يهود الاسكندرية هى التى كانت وقودا لهذه الثورة فى حين أن الطبقات الممتازة من اليهود تجنبت هذا المصير باعلان ولائها للحكومة . ولا يستبعد أن الحاكم وقد كان يوما واحدا منهم قد بسط حمايته الشخصية على جميع أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى وهذا يفسر السعى لدى رجال من هذه الفئة ليتوسطوا لديه فى جلدتهم ليخلدوا الى السكينة . ولهذا الرأى اعتباره . سيما وأننا سنرى أن بعض زعماء هذه الطائفة من يهود الاسكندرية قد تحرجت عن مساعدة الثوار الذين فروا الى مصر بعد سقوط أورشليم فى أيدى القوات الرومانية .

واذا كانت نيران ثورة اليهود قد أخمدت فى مصر فانها استمرت مستعمرة الاوار فى فلسطين وان كانت العمليات الحربية قد توقفت موقتا فى يونير ٦٨ م عندما وصل الى الجيش الرومانى نبأ انتحار الامبراطور نيرون . وحدث أن نودى بفسباسيان قائد القوات الرومانية المقاتلة فى فلسطين امبراطورا فغادر فلسطين تاركا القيادة لابنه تيتوس الذى استأنف القتال وشدد النكير على اليهود المحاصرين فى أورشليم ، ودعم هيئة أركان حربه بأن ضم اليها المؤرخ اليهودى يوسف وتيبريوس يوليوس الاسكندر الذى جعل منه رئيسا لهذه الهيئة . وفى أغسطس سنة ٧٠ م سقطت أورشليم ودمر الهيكل عن آخره ولم تقم له قائمة منذ ذلك الحين . وألغى الرومان مجلس السنهدرين Sanhedrin ووظيفة الحبر الأعظم . وزيادة على ذلك فرض الامبراطور فسباسيان على يهود الامبراطورية جميعا أن يؤدوا ضريبة خاصة للاله جوبيتر كابيتولينوس Juppiter Capitolinus فى روما ، حيث خصصت لها خزانة باسم Fiscus Judaicus.

ولم تكن هذه الضريبة الا ضريبة نصف الشاقل التى كان اليهود يؤدونها من قبل الى هيكل أورشليم طوعا واختيارا استجابة لتعاليم التوراة وأصبحوا يؤدونها منذ هذا الوقت لصالح جوبيتر كابيتولينوس وقد كان حمل اليهود على أداء هذه الضريبة لجوبيتر انما كان يعنى انتصار هذا الاله الرومانى على ... وهكذا أشعرت روما اليهود بذلتهم وحرمت أورشليم مكانتها الدينية السامية الأولى بين يهود الامبراطورية وان كان فسباسيان لم يمس حياتهم الدينية التى سارت سيرتها الأولى من حيث توفير الحرية المطلقة لهم وهى تلك الحرية التى كانت جزءا من السياسة التقليدية التى درجت عليها روما تجاه اليهود .

وقد حدث أن هرب الى مصر عقب سقوط أورشليم طائفة من غلاة اليهود الذين أطلق عليهم يوسف اسم Sikarioi وجاءوا يحرضون يهودها على الثورة ضد روما واتخذوا شعارا لهم " لا سيد الا الرب " . وقد روى يوسف أن زعماء مجلس الشيوخ

اليهودى Proteuontes tês gerousia دعوا الى عقد اجتماع عام قرروا فيه عدم الاستجابة لدعوة هولاء الثائرين والتنصل من تبعة ما عساه أن يحدث نتيجة لمجيئهم الى مصر . واعلانا عن استيائهم ألقوا القبض على ستمائة منهم فى الاسكندرية وكذلك على بعض أفراد استطاعوا التسلل الى داخلية البلاد وسلموا الجميع الى السلطات الرومانية فلقوا أشد صنوف العذاب ثم أعدموا جميعا ويرى (والاس Wallace) أن يوسف لم يذكر حقيقة هذه الطائفة كاملة ويرى أنه ينبغى تفسير شعارهم بأن دفع الضريبة لجوبيتر كان باطلا ، وبأنه لا ينبغى ليهودى تأديتها الا ليهوه . وهو يرى كذلك أن الطائفة من الغلاة اعتزمت التسلل الى معبد أونياس فى ليونتوبوليس باعتبار أن هذا المعبد حل محل هيكل أورشليم بعد تدميره . ويبدو أن يوسف فطن الى هذه الحقيقة فهو يحدثنا بأن الامبراطور فسباسيان عندما شك فى نوايا اليهود واحتمال تجمعهم فى ليونتوبوليس أمر الحاكم الرومانى لوبوس Lupus بتدمير المعبد . بيد أن الحاكم لم ينفذ أوامر الامبراطور بحذافيرها اذ اكتفى بغلق المعبد . ولعل هذا الحاكم كان يخشى اثارة يهود مصر اذا أقدم على تدمير المعبد ورأى أن فى اغلاقه حلا وسطا يرضى الامبراطور ولا يغضب اليهود الى حد يدفعهم الى الثورة . ولكن يبدو أن غلق المعبد لم يكن كافيا لايقاف الفتن . ولابد وأن الاضطرابات استمرت مما اضطر خلفه باولينوس Paulinus الى تجريد المعبد من كنوزه ثم أغلقه نهائيا وحرم على اليهود الدخول فيه وكان هدف الامبراطور من الاجراءات العنيفة التى أمر باتخاذها ضد المعبد أن يقضى فى رأى والاس على كل ذريعة لليهود سواء فى أورشليم أو فى مصر للامتناع عن دفع ضريبة الهيكل الى معبد الاله جوبيتر الكابيتولينى . وقد بنى والاس هذا الرأى على نظريته القائلة بأن يهود مصر كانوا يدفعون الى معبد أونياس ضريبة الهيكل بعد سقوط أورشليم فى يد السليوقيين وأنه بعد تدمير الهيكل على يد الرومان وفرض ضريبة Fiscus Judaicus لصالح جوبيتر من المحتمل أن يهود مصر عادوا الى أداء هذه الضريبة الى معبد أونياس باعتباره بديلا من معبد أورشليم ليتخلصوا من دفعها للامبراطور بحجة وجود المعبد الذى حل محل هيكل أورشليم . ولما

كنا قد خالفنا رأى والاس فى أن يهود مصر فى العهد البطلمى كانوا يؤدون الضريبة الى معبد أونياس. فلا زلنا عند رأينا أن هذا المعبد لم يحل أبدا فى نفوس يهود مصر محل الهيكل بأية حال • وفى رأينا أن اغلاق المعبد كان جزءا من الاجراءات التى اتخذها فسباسيان لمقاومة أى اتجاه ثورى ليهود مصر فضلا عن اليهود الذين فروا اليها بعد سقوط أورشليم •

والذى يعنينا من أنباء هذه الفتنة التى اجتاحت الاسكندرية ابان ثورة اليهود فى فلسطين ما بينهما من صلة وانقسام اليهود فى الاسكندرية الى فريقين كان أحدهما يرى الاسلامة ليهود مصر الا فى ربط حياتهم بحياة اخوانهم فى أورشليم ، وكان الفريق الثانى يتألف من الطبقات الممتازة الذين اتفقت مصالحهم مع مصالح الاغريق فى المدينة وكانوا يرون أن يكيفوا حياتهم تبعا للظروف التى يعيشون فيها ولا شأن لهم بما يجرى فى أورشليم وهذه الطائفة هى التى تعقبت الغلاة وسلمت من ألقوا عليهم القبض الى السلطات الرومانية ليثبتوا ولائهم على هذا النحو لتلك السلطات • ولعل أهم ما أسفر عنه سقوط أورشليم وتدمير معبدها بالنسبة الى يهود مصر هو فرض ضريبة اليهود عليهم • وقد زادت ما كانوا يشعرون به من ذلة منذ أن فرضت عليهم ضريبة الرأس عند أول عهدهم بالحكومة الرومانية فى مصر • وقد جاء ضغثا على ابالة غلق معبد أونياس وتشتيت الجالية اليهودية فى ليونتوبوليس •

ويبدو أن ما لقيه اليهود على أيدى السلطات الرومانية وشعورهم بضيق الاغريق بهم قد دفعهم الى الميل الى العزلة والتقارب فيما بينهم ولذلك يبين أنهم أصبحوا يفضلون الاقامة فى حى بعينه فى المدينة مثلما حدث فى ادفو حيث كانوا يقيمون فى الحى الرابع من هذه المدينة • وعندما نشر فسلى Wessely الاستراكا التى عثر عليها فى هذا الحى أطلق عليه اسم الغيتو Ghetto لكن هذا اللفظ خاطئ • من الناحية القانونية اذا أخذناه بالمعنى المتداول فى العصور الوسطى ، لكن لا غبار

على استعماله فى العصر الرومانى للدلالة على أن اليهود أعرضوا عن جيرانهم وفضلوا الاقامة فى حى معين ليكونوا بمنأى عن التيارات المناوئة لهم .

وبعد أحداث سنة ٧٠ م وما أعقبها من اضطرابات ساد الهدوء فى الاسكندرية فيما يبدو لأن مصادرنا لا تتحدث عن ذلك شىء فى المدينة وان كانت الأمور لم تسر على ما يرام فى روما وخاصة فى عهد الامبراطور دوميتانوس الذى اشتط فى تحصيل الضريبة من اليهود وتعقب بالاضطهاد كل من كان يحاول الافلات من دفعها وشمل ذلك باضطهاد كل من يشتم منه الميل الى اتباع " العادات اليهودية " ولم يمتد أثر هذه الاضطهادات الى مصر تماما مثل ما حدث على عهد الامبراطور تيبريوس ، وان كنا لا نستطيع أن نتصور أن تنكسر حدة العداء بين اليهود والاغريق بهذه السرعة الا اذا كان اليهود قد عالجوا علاقتهم بكل من الاغريق والادارة الرومانية بطريقة واقعية وابتعدوا عن كل ما من شأنه اثارة الاحتكاك بأى منهما . ويبدو أن شيئا ما قد حدث بين اليهود والاغريق بالاسكندرية فى عهد الامبراطور تراجان اذ أن احدى وثائق أعمال شهداء الاسكندرية تتحدث عن وصول وفد اسكندرى وآخر يهودى الى روما قبل أن يبارحها هذا الامبراطور الى بارثيا فى خريف عام ١١٣ م . وكان الوفد الاسكندرى يتألف من أحد عشر عضوا يضم ديونيسوس ، أحد زعماء المدينة ، وبعض رؤساء الجمنازيوم وبعض الشخصيات البارزة من المواطنين الذين نالوا الجنسية الرومانية . وانضم الى الوفد خطيب اغريقى من صور يدعى باولوس Paulus ليتولى مهمة الدفاع عنهم لدى الامبراطور . وكان الوفد اليهودى كذلك يضم بين أعضائه السبعة يهوديا من أنطاكية جاء معه ربه ، لكن بينما تحدثنا بأن الوفد الاغريقى كان يحمل معه تمثالا نصفيا للاله سيرابيس لا تفصح بشىء عما كان يحمله اليهود . ويرجح بعض المؤرخين أنهم ربما كانوا يحملون كتبهم المقدسة أو لفافات كتبت عليها شريعتهم أو ربما كانوا يحملون التوراة فى تابوت المعبد جريا على عاداتهم القديمة . وتتهم البردية الامبراطورة أفلوطينا Plotina بالسعى لدى أعضاء مجلس الشيوخ ليقفوا الى جانب اليهود ضد اغريق

بالاسكندرية • وتحمل البردية على الامبراطور وتنفى عليه تأثره بموقف الامبراطورة اذ أنه لم على الاغريق تحيتهم بينما رد تحية اليهود بمودة واضحة بل نسبت اليه البردية أنه أغلظ فى القول للوفد الاغريقى وقال :

" انكم تحيوننى كما لو كنتم تستحقون منى أن أقدم اليكم تحيتى بعد هذا الذى اجترأتم على فعله من اليهود " • ويعقب ذلك فجوة فى البردية ضاعت معها معالم بضعة أسطر نقرأ بعدها حوارا بين الامبراطور وبين شخص يدعى هرمايسكوس كان يتحدث باسم الوفد الاغريقى وان كان اسمه لم يرد ضمن أسماء هذا الوفد فى مستهل البردية ويستوقف النظر فى هذا الحوار قول هرمايسكوس : ان ما يزعجنا هو امتلاء قلعة مجلسك باليهود الملحدين anosion loudaion • وقد استاء الامبراطور من هذا القول فعاد هرمايسكوس الى الحديث ناصحا اياه أن يناصر بنى قومه tois seautou والا ينبرى للدفاع عن اليهود الملحدين anosioi •

وتروى البردية أنه ما أن نطق هرمايسكوس بهذا الكلام حتى تصبب عرقا تمثال سيرابيس الذى كان يحمله وفد الاسكندرية وعقدت الدهشة لسان الامبراطور وساد الهرج والمرج فى أنحاء روما وتعالى صياح الناس وفروا الى أعالى التلال • وليس أبلغ من هذا دلالة على ما تتصف به هذه الوثائق من الدعاية الاغريقية التى تفقدها قيمتها التاريخية الا من حيث أنها تصور مشاعر الاغريق وما تفيض به من السخط على الرومان واتهامهم بالتحيز لليهود • ومما يجدر بالملاحظة أن الاتهام قد وجه الى تراجان الذى أقسم أن يكون عادلا والا يسفك دما بريئا ولم تكن الامبراطورة أفلوطينا بأول امبراطورة تتهم بالميل الى اليهود اذ سبق أن وجه مثل هذا الاتهام الى بوبيا Poppaea زوج نيرون والامبراطورة أجريبيانا Agrippiana زوج كلاوديوس • أما ما حدث لتمثال سيرابيس فقد أثار تعليقات شتى ، فقال البعض أن ذلك كان يعنى أن هناك قوة قدسية عليا تهدد روما سيما وأن هرمايسكوس قد ناشد الامبراطور نصرة بنى دينه وفى هذا اشارة واضحة الى أن هنالك وشائج من الدين والتقاليد المتشابهة تربط بين الاغريق

والرومان وتجعلهم يقفون صفا واحدا تجاه اليهود الذين يتبعون دينا غريبا عنهم جميعا • ولا يستبعد البعض أن التمثال ابتل فعلا وعزا ذلك الى وضع وعاء به ماء في مكان معين من التمثال ونضوح هذا الماء بطريقة معينة عند انتهاء عرض ايسكوس من مقالته • وفي اعتقاد نفر من المؤرخين أن هذه المعجزة كانت ارهاصا بحدوث ثورة اليهود الكبرى سنة ١١٥ م أو انذارا بما سيحل بمعبد السيرابيوم من تدمير ابان تلك الثورة • ونحن نستبعد التجاء الاغريق الى حيلة لجعل جسم التمثال ينضح بالماء عند الاتيان بحركة معينة خشية كشف أمر حيلتهم في روما • ونعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون ضربا جديدا من الدعاية تختفى عنه ذهن كاتب البردية ولعل أهم ما يمكن استخلاصه من هذه البردية ونحن آمنون من الزلل هو وقوع اضطرابات في الاسكندرية اعتبر الاغريق مسئولين عنها فحاولوا التنصل من تهمتها بكل وسيلة ممكنة • وبعد وأنه قبل قيام اليهود بثورتهم الكبرى سنة ١١٥ م كان الجو قد تلبد بعوامل الفتنة وأصبح مهيئا لاندلاع لهيبها •

وقد شبت نار الثورة أول الأمر في برقة ثم امتدت الى قبرص ومصر في الوقت الذى كان فيه ترلجان مشغولا بحملته في الشرق فقد تطلبت تلك الحملة سحب الحاميات الرومانية من كثير من ولايات الامبراطورية •

وقد بدأت الثورة في برقة بالصدام المعتاد بين اليهود والاغريق سرعان ما تطور الى صراع يائس خاضه اليهود ضد الحكومة الرومانية نفسها • وقد اختار اليهود لانفسهم ملكا يدعى " أندرياس " Andreas أو لوكاس (لوقا) (Lucuas) وتجمع الروايات على وحشية اليهود في مهاجمتهم للاغريق ويعطينا ديوكاسيوس Dio Cassius وصفا مؤثرا للتمثيل البشع الذى أحدثه اليهود بضحاياهم من الاغريق والرومان ، فيروى أنهم كانوا يلطخون أنفسهم بدمائهم ويأكلون لحومهم ، ويقدر ديوكاسيوس عدد الاغريق الذين لقوا حتفهم في برقة بحوالي ٢٢٠٠٠٠ والى جانب هذه الوحشية قام اليهود بتدمير المعابد الاغريقية وتخريب الطرق والمباني العامة حتى تحولت برقة في آخر الأمر الى صحراء يخيم عليها الخراب الشامل • ولم يلبث لهيب

الثورة أن امتد الى قبرص حيث لقى ٠٠٠ر٢٤٠ نسمة مصرعهم وخربت سلاميس عاصمة تلك الجزيرة وصدر قرار يحرم على اليهود أن تطأ أقدامهم أرضها ٠

وسرعان ما شملت الثورة مصر أيضا ٠ وقد ظفرنا بعدد لا بأس به من البرديات التى تصور أحداث هذه الثورة وعثرنا بتفاصيل ذات أهمية تاريخية كبيرة وقد توفر فوكس A. Fuks على دراستها دراسة وافية وقسمها الى ثلاث مجموعات :

أولا ــ المجموعة الأولى وتتناول بعض الحوادث التى وقعت فى الاسكندرية ٠

ثانيا ــ المجموعة الثانية وتحدثنا بتفاصيل حوادث الثورة فى داخلية البلاد ٠

ثالثا ــ المجموعة الثالثة وتطلعنا على رد الفعل الذى أحدثته هذه الثورة ٠

وتتضمن المجموعة الأولى برديتين تنتميان الى مجموعة أعمال شهداء الاسكندرية نفهم من أولاهما أن معركة mache نشبت بين اليهود والرومان فى الاسكندرية فى تاريخ سابق للقرار الذى تضمنته هذه البردية وصدر فى ١٣ أكتوبر ١١٥ م ٠ ويشير القرار الى بعض حوادث الحرق العمد ومحاولة الاغريق الفاشلة التنصل من تهمة تلك الحوادث واتهامهم مع عبيدهم مسئولين عن الأعمال العدوانية التى ارتكبت ضد اليهود وقد حذرهم الحاكم الرومانى لوبوس Rutilius Lupus من التمادى فى خرق القانون واخطرهم بحضور مبعوث أو قاضى ho dikastes خاص أرسله الامبراطور من روما للنظر فى شكاوى الاغريق ٠ ويرى بعض المؤرخين أن هذا القرار السالف الذكر قرئ فى حضرة هذا المبعوث القضائى الخاص كخطبة افتتاح للجلسة التى عقدها للتحقيق فى حوادث الاسكندرية ٠

أما البردية الثانية فانها تسجل محاكمة حدثت أمام الامبراطور يرجح أنه هادريان وتتضمن النقاط التالية :

أولا ـ أمر من الحاكم الرومانى فى مصر بأن يزج فى السجن ستون من اغريق الاسكندرية ومعهم عبيدهم .

ثانيا ـ اتهام اغريق الاسكندرية باطلاق سراحهم .

ثالثا ـ السخرية من ملك اليهود بأمر من الحاكم

رابعا ـ اسكان اليهود فى منطقة خاصة بهم فى الاسكندرية أو فى جوارها .

وقد اختلفت المؤرخون فى تاريخ البردية الثانية وهى تؤرخ حسب الآراء المتباينة بعام ١١٨ ـ ١١٩ م أو أواخر ١١٩ م أو أوائل ١٢٠ ونظرا للتشابه الواضح فى الموضوعات التى عالجتها هذه البردية والبردية الأولى التى ترجع الى ١٣ أكتوبر ١١٥ م فان الكثير من المؤرخين يميلون الى الربط بينهما بالرغم من الفارق الزمنى بين البرديتين ، لأن ما ذكر فى أولا خاصا بالقرار الذى أصدره الحاكم وأثبت فيه حدوث مصادمات بين اليهود والرومان وتسليط العبيد على اليهود واتهام الاغريق باطلاق سراح عبيدهم من سجنهم تكرر فى الثانية . أما ما ذكر فى هذه البردية الاخيرة عن السخرية من ملك اليهود وقصر اقامة اليهود الذين لجأوا الى الاسكندرية فى حى بعينه فانه أرجئ الحديث عن هاتين النقطتين الى ما بعد .

ونعرف من مصادرنا الوثيقة أن الثورة اندلعت أيضا فى ريف مصر حيث انقض اليهود على الاغريق ولجأ الكثيرون من هؤلاء الى الاسكندرية ليحتموا فيها من هجمات اليهود . وفى الاسكندرية دارت معارك عنيفة من الجالية اليهودية فى المدينة وتتحدث ا مصادر التلمود عن تدمير بيعة اليهود الكبرى بالمدينة ويحدثنا أبيان Appian عن الدمار الذى لحق معبد نميسيس ربة الانتقام عند الاغريق . وربما

حدث تدمير معبد السيرابيوم فى ابان تلك الفتنة •

وفى شتاء عام ١١٦ زحف يهود برقـة بزعامة ملكهم على مصر بعـــد أن اكتسحوا فى طريقهم القوات الرومانية التى عجزت عن صدهم وبلغوا مشارف الاسكندريـــة لكنهم عجزوا عن دخول المدينة فانتشروا فى داخليـــة البلاد تاركين جالية الاسكندريـــة تلقى أشد الويلات على أيدى الاغريق •

أما الموقف فى داخل البلاد فتوضحه لنا المجموعة الثانية من البرديـــات وهى مكونة من سبع وثائق كتب ست منها فى فترة الثورة بينما كتبت السابعة فى آخر تـلك الفترة • وقد عثر على غالبيـــة هذه الوثائق بالقرب من هرموبوليس فى محفوظات أســـرة أبوللونيوس مدير اقليم أبوللونوبوليس هيبتاكوميا Apollonopolis Heptakomia وهو الاقليم الذى كانت عاصمته هيبتاكوميا (كوم اسفحت) وينحدر هذا الموظف من أســرة عريقة من منطقـة هرموبوليس (الأشمونين) •

واحدى هذه الوثائق خطاب أرسلته الى هذا القائد زوجته ألينى Aline من هرموبوليس حيث كانت تقيم مع والديها • ويبدو أن زوجها كان قد أوصلها مـــع أولادها الى هرموبوليس ثم اضطر فجأة فى نهاية أغسطس أو بداية سبتمبر ١١٥ الـــى العودة الى اقليمه ليضطلع بمسئوليته فى القتال الناشب هناك مع اليهود الثائريـــن • وقد قارنت الزوجة فى خطابها بين زوجها الذى يعرض حياته للخطر وبين مدير اقلـيم هرموبوليس الذى ترك مهمة القتال لمرؤسيه وهذا يدل على شيئين أحدهما ان اقلـيم هرموبوليس كان يعانى من جراء هذه الثورة والاخر أن الأمر كان جد خطير والا لمـــا اضطر حاكم مدنى مثل أبوللونيوس الى الاشتراك فى القتال •

والبردية الثانية عبارة عن رسالة الى المدير من أمه يرجح أنها بعثتها اليه في ٣٠ يونيو ١١٦ م • وتبدى الأم قلقها من الاخطار التي يتعرض لها ابنها وتضرع الى هرميس أن ينقذه من أن يشوى على النار على نحو ما كان يفعل اليهود بضحاياهم وهى بذلك تردد عن اقتناع القصص المتداولة عن قسوة اليهود وشراستهم • ولا نستبين من البردية المكان الذى يقاتل فيه أبوللونيوس فهى لا تذكر اذا كان لا يزال في هبتاكوميا أم أنه انتقل الى الشمال حيث احتدم القتال •

ويبدو واضحا من هذه البردية أن الموقف كان قد تأزم وأن خطورة الثورة كانت قد اشتدت وأن خوف أم أبوللونيوس من أن يشوى ابنها ليدل على مدى العنف الذى اتسم به القتال ويؤيد ما ذهبت اليه المصادر الأدبية عن احتدام القتال وعنفه في هذه الفترة بالذات •

ومما يدل على تحرج الموقف أن السلطات الرومانية أناطت ببعض القرويين المصريين في هرموبوليس مهمة صد هجوم اليهود الملحدين anosioi غير أن الدائرة دارت على القرويين وأعمل فيهم اليهود الملحدون الذبح والتقتيل وأصبح الأمل معقودا على الفرق الرومانية التي وصلت فرقة منها الى منف وربما كان ذلك في أوائل يوليو عام ٢٢٦ م ولم يقتصر القتال على هذا الاقليم بل امتد الى منف غير أن النتيجة مالبثت أن انقشعت اذا تحدثنا احدى البرديات عن النصر الذى أحرزته الفرق الرومانية في نواحي منف في أوائل عام ١١٧ م بالتعاون مع الاغريق والمصريين • وقد أسهم أبوللونيوس في هذا النصر بنصيب وافر من القوات التي يظن أنه جمعها من اقليمه وتقدم بها مقاتلا اليهود حتى بلغ منف حيث اشترك في هذه المعركة • واستنادا الى هذه البردية نرجح أن السلطات الرومانية شجعت تشكيل فرق من القوات المحلية أو الميلشيا الوطنية • ونتبين كذلك من بردية من أوكسيرينخوس (البهنسا) أن بعض سكانها الاغريق التحقوا بقوات الجيش الروماني •

وبالرغم من أن النصر الذى أحرزته القوات الرومانية بالتعاون من الاغريق والمصريين ، كان نصرا هاما الا أنه لم يكن نصرا حاسما ، اذ يقول المؤرخ يوسيبيوس انه لم تكن هناك معركة واحدة فاصلة ومن ذلك كانت معركة منف احدى تلك المعارك الكثيرة التى تمكن بفضلها ماركيوس توربو Marcius Turbo ، القائد الذى أرسله الامبراطور تراجان لاخماد الثورة فى مصر ، من أن يحقق النصر النهائى على اليهود .

وبعد معركة منف تحركت القوات الرومانية جنوبا لقمع الثورة فى صعيد مصر . ويبدو أن أبوللونيوس اشترك فى المعارك الجديدة ولم يعد الى أمه فبعثت فى منتصف يوليو ١١٧ م الى زوج ابنها برسالة تعبر فيها عن مدى قلقها على ابنها . ولا أدل على مدى قلق الأم من ثورتها على الالهة وتوعدها بأنها لن تقدم اليها شيئا ولن تهتم بها الا اذا عاد ابنها .

ويفهم من بعض البرديات وبعض المصادر الأدبية أن الثورة امتدت الى اقليم طيبة جنوبا والى اقليم اثريب (بنها) شمالا والى بلوزيوم شرقا . وقد وصف المؤرخ أبيان Appin فراره من مصر عن طريق بلوزيوم وما لقيه من مشقة للافلات من اليهود الذين استولوا على الطرق المائية فى هذه المنطقة .

ويرجح أن الثورة كانت قد انتهت فى منتصف أغسطس سنة ١١٧ م اذ أن ماركوس توربو M. Turpo غادر مصر الى موريتانيا ونصب حاكما عليها فى أوائل عصر هادريان ، بعد اخماد ثورة اليهود .

ومرة أخرى تطلعنا البرديات على بعض الاثار التى خلفتها الثورة فى بعض الأماكن التى كانت مسرحا لها . ومن ذلك أن السفر من هرموبوليس الى

الاسكندرية لم يعد ممكنا عن طريق البر بسبب أعمال التخريب التى أصابت الطرق وأنه كان من الأفضل السفر عن طريق النهر • وقد أصاب التخريب كذلك بعض المبانى الزراعية فى أوكسيرينخوس عندما أضرم اليهود النار فيها • وهجرت الأرض الزراعية فى قرية سبنوتس Sebennytos فى اقليم الفيوم فأضحت يبابا نتيجة للاضرار التى لحقتها أثناء ثورة اليهود وظلت حدا بقيت معه هذه الأرض لا تغل أى ايراد aphoros حتى سنة ١٥١ م • وفى اقليم ليكوبوليس (أسيوط) عجز رجلان يقيمان هناك عن ارسال ما عليهما من بعض المحاصيل arax الى أبوللونيوس بسبب الاضطرابات والفتن التى أثارها اليهود • وتنبئنا الوثائق بأن الدولة صادرت بعض أراضى اليهود فى أوكسيرينخوس وكينوبوليس • ويمكن تفسير ذلك بأنه اجراء انتقامى من بعض اليهود الذين اشتركوا فى أعمال الثورة • أو لعله كان اجراء لابد منه لانقاذ هذه الضياع من البوار نتيجة لمصرع أصحابها •

وقد لاحظ بعض المؤرخين قلة الوثائق التى تحمل أسماء يهودية بعد عهد تراجان ويرجعون ذلك الى كثرة عدد اليهود الذين لقوا مصرعهم على أيدى الرومان أثناء حوادث تلك الثورة • ويضربون مثلا لقلة عدد اليهود فى ريف مصر بأن الحى اليهودى الرابع فى مدينة أدفو وكان يضم عددا كبيرا من الأسر اليهودية لم يتبق فيه على عهد ماركوس أوريليوس غير أسرة واحدة • وهذه الأسرة لم تحتفظ بالأسماء اليهودية بل أطلقت على أبنائها أسماء مصرية • ومعنى ذلك أنها تمصرت وهذا تغيير خطير فى حياة يهود ادفو دون شك • وبردية من كرانيس مؤرخة بمنتصف القرن الثانى الميلادى أن من بين عدد سكانها البالغ عددهم ألف نسمة كان هناك يهودى واحد يدفع ضريبة اليهود • وتنهض هذه البردية دليلا واضحا على قلة عدد اليهود بالنسبة للعناصر الأخرى فى هذه القرية • وبوجه عام تقل أو تنعدم البرديات التى تتحدث عن اليهود حتى تبدأ فى الظهور من جديد فى أواخر القرن

الثالث الميلادى عندما تحدثنا بردية عن جالية يهودية فى أوكسيرينخوس سنة ٢٠١ م ، ويذكر نقش بيعة لليهود فى مكان غير معروف بمصر العليا منحتها الملكة زنوبيا وابنهـــا فى عام ٢٧٠ م حق الالتجاء .

أما الاسكندرية فقد التجأ اليها بعض العناصر اليهودية التى فرت مـــن الريف لتنضم الى بقايا يهود المدينة وعندما أعاد الحاكم الرومانى تخطيط المدينة مـن جديد فى عهد هادريان برزت مشكلة اسكان اليهود كما سترى فيما بعد .

وثورة اليهود فى عهد تراجان تستحق بعض الاهتمام بسبب الطابع الـذى تميزت به فقد بدأت كحلقـة جديدة فى سلسلة الفتن Stasels العادية التى كانت تنشب بين الاغريق واليهود الا أنها تعدت وأصبحت صداما مسلحا بين اليهود والرومان ففى الاسكندرية وخارجها خاضت القوات الرومانية معارك حقيقيـة ضد اليهود . وقـد وصفت البرديات الصدام بين اليهود والرومان بأنه كان حربا polemos وأطلـق عليها يوزيبيوس عبارته المشهورة " حرب ليست بالصغيرة " polemos ou smikos .... وفضلا عن ذلك رجعت البرديات اصداء القصص الخيالية التى كـــان الاغريق يتداولونها عن قسوة المحاربين اليهود وشراستهم . فقد مربنا كيـــف أن أم أبوللونيوس كانت تعتقد مخلصـة أن اليهود يشوون أسراهم . وكشفت بعض البرديات أيضا عن تدابير اليهود لتدمير الطرق والمعابد والمبانى الزراعية فى ريف مصـــر . وقياسا على ذلك لابد من أن ضروب الوحشية التى ارتكبوها فى برقة قد ارتكبوا مثلهـا فى الاسكندرية وخارجها من أنحاء مصر . واذا كان المؤرخون لم يقدروا عدد ضحايـا الفريقين فى مصر فاننا نستنتج من عنف القتال وانتشاره فى أكثر من ناحية والهزائـــم التى الحقها اليهود أول الأمر بالرومان والاغريق والمصريين ، أن عددهم كان كبيـرا دون شك . ولكن نزل بأعداء اليهود خسائر فادحة فى الأرواح فقد نزل باليهود مثلها اذ لم ينجوا فى آخر الأمر من الانتقام الذى كالته لهم القوات الرومانية التى تعقبتهم فى

كل مكان وأهلكت منهم الكثيرين حتى ليظن أن مصر أوشكت أن تقفر من اليهود عقب أحداث تلك الثورة • ويستوقفنا وصف اليهود بالالحاد anoisoi في البرديات التى تتحدث عن ثورتهم فى عصر تراجان • ويلاحظ أن هذا الوصف يتردد بشكل واضح فى الوثائق الرسمية فضلا عن رسائل الأفراد التى تتناول أحداث هذه الثورة ولعل اطلاق هذا الوصف على اليهود يرجع الى تدميرهم لمعابد أعدائهم • فقد كان تدمير المعابد ظاهرة واضحة سواء فى برقة أو فى مصر •

وما كان السبب الحقيقى لتلك الثورة الجامحة التى قام بها اليهود فى عصر تراجان واجتاحت برقة وقبرص ومصر يرى بعض المؤرخين أنه ينبغى دراسة الموقف (١) فى فلسطين فانه منذ وفاة هيرود فى عام ٤ ق • م كان هذا الاقليم نهبا لحركات يتزعمها بعض الذين يدعون أنهم ملوك وأنهم بعثوا لانقاذ الشعب • ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع ومن المحتمل أن سيمون (شمعون) بن جيورا Simon ben Giora أحد زعماء ثورة ٦٦ — ٧٠ م كان يعتبر نفسه ملكا اذ كان يلبس ملابس الملوك عندما استسلم للرومان • ولابد من أن لوكاس (لوقا) ملك يهود برقة كان واحدا من هذا النوع فقد كان يعتبر نفسه منقذ بنى جلدته من حكم الرومان • وقد كان يعمد الى اثارة الحماس الدينى فى نفوس أتباعه ولذلك كان تدمير المعابد جزءا من حركته • وهكذا تكون فكرة الخلاص هى التى أوحت الى هذا الزعيم اليهودى بالقيام بهذه الثورة التى اختار لها وقتا مناسبا لكن تراجان كان موفقا فى حملته فى الشرق ولو أحسن اليهود أعمال رأيهم لربما آثروا عدم القيام بالثورة على الاطلاق • ومن ذلك استمرت فكرة الخلاص تستهوى اليهود وتسيطر على عقولهم فسنرى مخلصا آخر يظهر فى عهد هادريان ويجر الويلات على بنى قومه • ورب متسائل يقول ولم لم تكن فلسطين مهدا لهذه الحركة التى تستهدف تخليص اليهود لعل السبب هو أن التفرقة بين يهود فلسطين ويهود الشتات كانت قد زالت منذ تدمير الهيكل واخضاع يهود الامبراطورية

جميعا لضربة اليهود • وربما اختيرت برقة عن عمد لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التى كانت تحارب تحت قيادة تراجان ضد البارثيين • ومن هذا لا نستبعد أن يكون ابتداء قيام الثورة فى برقة بالذات كان من باب المصادفة وأن ذلك يستتبع اعتبارها شيئا أكثر من مجرد عداء لليهود هناك على نحو ما كان يحدث فى مصر من مصادمات لا تتعدى المجال المحلى ، ولكن ظهور هذا المخلص لوكواس كان السبب فى ازدياد النار اشتعالا • وقد أعمت فكرة الخلاص اليهود عن تقدير الموقف حق قدره وعن أنهم يحاربون قوى تفوقهم فى كل شىء ، فسيطر على عقولهم شىء واحد وهو أنهم جند الرب الذى سيقودهم الى النصر ويعيدهم الى هيكل أورشليم فاندفعوا مسلوبى الارادة الى قبرص والى مصر يقتلون ويدمرون ويبطشون بالاغريق والرومان وأهل قبرص وأهل مصر لا يفرقون بين جنس وجنس ولعلهم بتدميرهم معابد الوثنيين كانوا ينتقمون لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدى الرومان •

واذا قيل كيف أن يهود مصر ، مع أنهم كانوا يتوقون الى تحقيق التعايش السلمى مع جيرانهم الاغريق اشتركوا فى ثورة لوكواس بنصيب الأسد ، فاننا نجد الرد على ذلك فى أن المجتمع اليهودى فى مصر كان يضم طائفتين احداهما تتألف من المتحررين الذين كانوا لا يجدون حرجا فى التعامل مع الاغريق ومسايرتهم الى أقصى حد على حين أن الطائفة الأخرى كانت تتكون ممن كانوا لا يزالون يحلمون بأرض فلسطين ولعلهم كانوا خاضعين للتيارات الفكرية الوافدة من فلسطين وغيرها من مراكز احتشاد اليهود • ولعل ثورة اليهود عكست انتصار الطائفة الثانية وقد أفضت هذه الثورة الى القضاء نهائيا على محاولة لتخفيف حدة الكراهية الشديدة التى كانت تعتمل فى صدور الاغريق ضد اليهود وكذلك الى نشوب عداء سافر بين اليهود والسلطات الرومانية التى شنت حربا عنيفة لم ترحم اليهود (الملحدين) وقد ظاهرت تلك السلطات عناصر مصرية فضلا عن الاغريق الاعداء الألداء لليهود • وهكذا كان على اليهود الذين بقوا أحياء بعد تلك الثورة أن يعيشوا فى جو مشبع بالكراهية والحقد والشك •

وقد بلغ من شدة تأثر اهالى اوكسيرنخوس (البهنسا) بثورة اليهود أنهم ظلوا يحتفلون بذكرى الانتصار على اليهود فى عام ١٠١ م أى بعد مضى ما يقرب من خمسة وثمانين عاما •

وهل قدر للأحوال أن تهدأ بعد اخماد الثورة فى مستهل حكم هادريان ؟ ان احدى برديات أعمال شهداء الاسكندرية وهى أعمال باولوس وأنطونينوس Acta Pauli et Antonini تتناول بعض الحوادث التى وقعت فى عهد لوبوس الحاكم الرومانى على مصر (أى فى بداية عهد تراجان) بعد ٥ يناير ١١٧ م وفى عهد راميوس مارتيالوس الذى عين حاكما على مصر فى ٢٨ أغسطس سنة ١١٧ م ، أى فى السنة الأولى من حكم هادريان •

وقد تضمنت هذه البردية بعض النقاط التى وردت فى تلك البردية Prum التى تحدثت عن مقدمات ثورة يهود الاسكندرية على عهد تراجان • وتتلخص البردية فى النقاط الاتية :

أولا - حدثت بعض المناوشات بين الاغريق واليهود أصدر على أثرها الحاكم لوبوس أمره بانسحاب الفريقين وتسليم أسلحتهم (فى أواخر عام ١١٦ م أو قبل يوم ٥ يناير ١١٧ م) •

ثانيا - أمر هذا الحاكم وفقا لمزاعم أغريق المدينة بأن ينظم عرض مسرحى هزلى وأن يمثل ملك اليهود بطريقة مثيرة للضحك والسخرية •

ثالثا - تجددت الاضطرابات فى المدينة وأمر الحاكم بالقبض على ستين من زعماء الاسكندرية الاغريق والقائهم فى السجن مع عبيدهم • ثم حدث هجوم على السجن وأفرج عن هولاء بالقوة وأعيد القبض عليهم وأبعد الاغريق وأعدم العبيد • وقد حاول كل من وفدى الاغريق واليهود التنصل من تهمة هذا العمل والقاء الاتهام على الاخر •

رابعا — عندما مثل زعماء الاغريق أمام البلاط الامبراطورى فى روما بين ١١٧ و ١٢٠ م) أوضح انطونينوس ، أحد هولاء الزعماء ، مسئولية مرتيالوس الحاكم الرومانى عن الاضطرابات التى حدثت لأنه " أمر اليهود الملحدين بنقل مساكنهم الى مكان يستطيعون منه مهاجمة مدينتنا .. "

ويهمنا أن نتبين ما يأتى :

أولا — من هو الملك الذى أراد الحاكم السخرية منه ؟ فى رأى فلكن أنه لوكواس زعيم ثورة برقة الذى زحف على مصر سنة ١١٦ وأسره الرومان وعرضوه فى المدينة بطريقة ساخرة . وفى رأى فيبر Weber وبرمرشتاين Premerstein أن لوكواس لم يمثل بشخصه فى هذا العرض الهزلى . ويرفض فوكس الأخذ برأى فلكن لأن الذى هزم كان توربو خليفة لوبوس ويميل هذا الباحث الى القول بأن الاغريق بالاسكندرية سخروا من آمال اليهود فى الخلاص بتمثيلهم لوكواس تمثيلا رمزيا . ونحن نميل الى الأخذ برأى ثالث يقول بأن الاسكندريين أعدوا مسرحية هزلية مثل فيها أحدهم شخصية لوكواس ملك اليهود والذى تزعم ثورة برقة الأخيرة وزحف على الأراضى المصرية ناشرا فيها الخراب والفوضى .

ثانيا — ومن الذى أطلق سراح العبيد وسادتهم الاغريق ؟ والى أى حد كان اتهام الاغريق واليهود بعضهم بعضا بالقيام بهذا العمل صحيحا ؟ يوفق بل H. I. Bell بين الاتهامين بقوله ان الاغريق عمدوا الى اطلاق سراح بنى قومهم وهذا طبيعى وان اليهود أيضا ربما فعلوا ذلك لينتقموا بأنفسهم من خصومهم بأن رجموهم بالحجارة على عادتهم .

ثالثا — يبدو أن مسألة اسكان اليهود فى الاسكندرية كانت مشكلة بحق وان كانت البردية لم توضح هل أراد مارتيالوس ، وقد شرع فى اعادة تخطيط المدينة ، أن يجعل اقامة اليهود موزعة على أحيائها كلها أم أراد أن تقتصر اقامتهم على حى بعينه

بمعنى اقامة غيتو لهم بالمدينة • وفى رأى فوكس أن كلا هذين التفسيرين لا يتمشى من المعنى الدقيق لكلمة proskatoikein التى تعنى الاقامة فى " جانب أو بالقرب من " • ويأخذ هذا الباحث برأى تشيريكوفر الذى يتلخص فى أنه كان على الحاكم مجابهة مشكلة اسكان يهود الاسكندرية فضلا عن اليهود الذين لجأوا اليها بعد فرارهم من داخلية البلاد فرأى ان خير ما يفعله هو أن يخصص لهم جميعا منطقة جديدة بجوار الاسكندرية ولعل الأقرب الى المنطق أن يكون الحاكم قد شتتهم فى أحياء الاسكندرية المختلفة حتى يحول دون قيامهم بتدبير هجوم مفاجئ على الاغريق ، فى حين ان قصر اقامتهم على حى بعينه بجوار الاسكندرية لن يحول دون ذلك • وسواء أكانت اقامة اليهود فى المدينة أو فى خارجها فانه ما كان ينبغى للاغريق أن يخشوا شيئا فقد تحطمت قوة اليهود وقلمت أظافرهم وكان تجميع قواهم يتطلب وقتا طويلا ذلك أنهم فقدوا بيعتهم وأوقف نشاط محاكمهم وبذلك جردت جاليتهم من أهم امتيازاتها • ولا أدل على هوان اليهود وضعف شأنهم من أن القواعد المالية لمراقب الحسابات الحكومية Gnomon idios logos (وهى مجموعة عامة من القوانين واللوائح المتعلقة بالوضع القانونى لمختلف عناصر السكان فى الاسكندرية فى القرن الثانى الميلادى تجاهلت اليهود تجاهلا تاما ، ولم تذكر أى شئ بشأنهم ، كما لو كان لم يعد لهم وجود فى الاسكندرية •

وعلى أى حال فان عهد هادريان لم يكن بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود فقد شهد تابد أيته اخماد ثورتهم الكبرى ، كما مربنا ، وصدر الأمر بابطال عادة الختان عند اليهود ، وقرب نهايته قامت فى فلسطين سنة ١٣٢ ثورة عاتية تزعمها مخلص آخر هو سيمون بار (بن) كوخبا أو بار (بن كوزيبا) وذلك عندما أمر الامبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل أورشليم وتحمل اسم Colonia Aelia Capitolina وأن يقام لجوبيتر معبد محل الهيكل • وقد بذل الامبراطور جهودا

ضخما حتى استطاع اخماد الثورة سنة ١٣٥ وبعد ذلك حظر على اليهود أن تطأ اقد امهم الأرض المحيطة بأورشليم فيما عدا اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس) فى ذكرى ذلك اليوم الذى دمرت فيه أورشليم • ومن المرجح أنه حدثت فى مصر بعض القلاقل ولكنها لم تكن ذات أهمية تذكر • وعلى كل حال لم نعد نسمع عن اليهود كعنصر يتسبب وجوده فى اثارة الفتنة الا فى عام ٤٢٥ م حين قام كيرلس Kyrillos أسقف الاسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع بيع اليهود وطردهم من المدينة •

الفصل الرابع
==
الوضع الدستورى

سبق أن عالجنا فى الفصل الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب الوضع القانونى ليهود مصر فى العصر البطلمى وقد انتهينا الى القول بأنهم كانوا فى وضع ممتاز تمثل فى السماح لهم بتشكيل جاليات كان من أبرزها جالية الاسكندرية التى اعترفت لها الدولة بقدر من الاستقلال الذاتى وبأنها منظمة ذات شخصية معنوية • وأوضحنا أن يهود الاسكندرية بالرغم مما كان لهم من وضع ممتاز الا أنهم لم يكونوا فى عداد مواطنى المدينة • ذلك ونتابع فى هذا الفصل دراسة الوضع الدستورى لليهود فى العصر الرومانى لنتبين ان كان وضعهم قد ظل كما كان فى العصر البطلمى أم تأثر بالظروف التى جدت بعد أن أصبحت مصر ولاية رومانية •

من المعروف أن السياسة الرومانية كانت حريصة منذ البداية على تقسيم المجتمع المصرى الى طبقات •

أولا — طبقة المواطنين الرومان وكانت طبقة ممتازة دون شك •

ثانيا — طبقة مواطنى المدن الاغريقية الحرة وقد احتفظت بكثير من أوضاعها الممتازة السابقة التى كانت لها على عهد البطالمة •

ثالثا — طبقة سكان عواصم الاقاليم metropolitai وكانت تضم الاغريق والمتأغرقين المقيمين فى هذه العواصم •

رابعا — طبقة خريجى الجمنازيوم hoi opo gymnasiou من سكان الاقاليم وقد تفرعت عن الطبقة الثالثة •

خامسا — طبقة سكان الريف من غير الطبقتين السابقتين وكانت تضم جموع الفلاحين المصريين ومن على شاكلتهم •

وقد أعفت الادارة الرومانية الطبقتين الأولى والثانية من دفع ضريبة الرأس في حين أنها أعفت الطبقتين الثالثة والرابعة من جانب منها بينما ألزمت الطبقة الأخيرة بدفعها كاملة • وبذلك كانت ضريبة الرأس أحد الأسس التى أقام عليها الرومان التفرقة بين الطبقات الممتازة وغير الممتازة فضلا عن أنها أوضحت مدى حرص الادارة الرومانية فى الولايات الشرقية عموما وفى مصر بصفة خاصة على تأكيد اعترافها بتفوق الحضارة الاغريقية التى يمثلها الاغريق ومدى رغبتها فى الاعتماد على العناصر المتأغرقة فى الادارة المحلية هذه الولايات • وقد دفعت هذه التفرقة الواضحة فى دفع ضريبة الرأس الاستاذ بيكرمان E. Bickermann الى القول بأن جميع سكان مصر الذين ألزموا بدفع الضريبة كاملة أو أعفوا من جانب منها اعتبروا فى نظر الحكومة الرومانية مصريين Aigptioi واذا سلمنا بصحة هذا الرأى فانهم كانوا يعتبرون من الوجهة القانونية مجرد أجانب خاضعين Peregrini dediticii وقد كان اليهود يقيمون فى الاسكندرية كما كانوا يقيمون خارجها فماذا كان وضعهم بالنسبة للطبقات التى أسلفنا ذكرها ؟

سبق أن ذكرنا أن أغسطس أقر يهود الاسكندرية بكافة الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها على عهد البطالمة وقد عرفنا أن أهم هذه الامتيازات كان السماح لهم بتشكيل جالياتهم •

ويتحدث استرابون ، الذى زار الاسكندرية على عهد هذا الامبراطور عن هذه الجالية وتنظيمها الداخلى فيقول أنه كان على رأسها اثنارخيس ethnarches كان يحكم الشعب ethnos اليهودى ويباشر اختصاصات قضائية وادارية واسعة كما لو كان أرخونا فى مدينة حرة ويمدنا كل من فيلون ويوسف ببعض المعلومات الهامة عن التنظيم الداخلى للجالية اليهودية فى الاسكندرية غير تلك التى نستمدها من استرابون ، فيروى فيلون أنه فى عهد الحاكم الرومانى أكويلا Aquila فى عام ١١م •

توفى رئيس الجالية وكان يطلق عليه اسم جنارخيس genarches فبعث أغسطس بتعليماته الى ماجيوس ماكسيميوس Magius Maximius الحاكم الرومانى الجديد بأن يقيم لليهود مجلسا للمسنين أو الشيوخ gerousia • ويضيف يوسف الى ذلك أن كلاوديوس أرسل خطابا الى حاكم مصر فى عام ٤٢ م ذكر فيه أن أغسطس لم يمنع اليهود من أن يكون لهم اثنارخيس بعد وفاة الاثنارخيس السابق على عهد أكويلا • ويذكر يوسف أيضا أن مجلس الشيوخ اليهودى ظل قائما حتى عصره (أى فى عصر فسباسيان) وأنه كان على رأس الجالية جماعة من الرؤساء عرفوا باسم رؤساء الشيوخ • Hoi proteuntes tés gerousias

ومما ذكره كل من فيلون ويوسف خرج بعض المؤرخين بفكرة مؤداها أن أغسطس انتهز فرصة وفاة الاثنارخيس سنة ١١ م فأمر بالغاء هذا المنصب وأحل محله مجلسا للشيوخ فى حين أن خطاب كلاوديوس على النحو الذى أورده يوسف يتعارض مع هذه الفكرة فهو يقول صراحة أن أغسطس لم يمنع اختيار رؤساء آخرين بعد موت الاثنارخيس سالف الذكر عام ١١ م • ومع ذلك يلاحظ أن يوسف عندما تحدث عن أحوال الجالية فى عصره أشار فقط الى وجود جماعة من الرؤساء دون أى اشارة الى وجود الاثنارخيس • ومن الطبيعى أن يحاول المؤرخون تلمس حقيقة ما حدث بالنسبة لتنظيم الجالية فى عهد أغسطس • وكان من رأى الأستاذ جوجيه أن هيئة زعماء الشعب التى أشار اليها أرستياس على عهد البطالمة تحت اسم Hegomenoi tou plethous كانت لا تزال موجودة فى أوائل العصر الرومانى جنبا الى جنب مع الاثنارخيس ، وأن كان هذا الأخير قد جردها من نفوذها وسلطانها وجمع فى يديه كافة الاختصاصات التى كانت لها بحيث طغى اسمه على اسمها • ولكن يبدو أن هيئة الزعماء هذه استعادت سابق نفوذها واختار الزعماء من بينهم نفرا كانوا أعضاء فى مجلس الشيوخ الجديد الذى أذن أغسطس بتشكيله • وطلبت الجالية من أغسطس اقرار الوضع الجديد دون ما حاجة الى الغاء منصب الاثنارخيس ولا بأس من بقائه رئيسا للمجلس بعد تجريده من سلطاته واحدا من رؤساء الجالية أو ربما أضحى واحدا من رؤساء مجلس الشيوخ

الذين أشار اليهم يوسف فى عهد فسباسيان وأنه أصبح مرتبطا أكثر من ذى قبل بهذا المجلس بحيث لم تعد هناك ثمة ضرورة لذكره منفردا كلما ذكر اسم المجلس أوربما كان هو Prostates الذى ورد ذكره فى نقش يرجع الى عام ٤ م والواقع أننا لا نعرف أى تفاصيل عن حقيقة الموقف داخل الجالية • وقد عمد بعض المؤرخين الى التأكيد بأن أغسطس قد قام فعلا بالغاء منصب الاثنارخيس فى عهد الحاكم أكويلا لأنه لا يجوز الاعتماد على خطاب كلاوديوس حسب الصيغة التى أوردها يوسف كدليل على أن أغسطس لم يلغ هذا المنصب• وذهب هذا النفر من المؤرخين الى حد القول بأن اليهود اعتبروا الغاء المنصب تدخلا غير مشروع من أغسطس فى شئون بالية وانتقاصا لحقوقهم المكتسبة ولذلك زيفوا العبارة الخاصة بالاثنارخيس وأقحموها على الخطاب فجاءت كما قرأناها عند يوسف • ويعتبرون دليلا على هذا التزييف قرار كلاوديوس الذى بعث به الى الاسكندرية كما حفظت لنا بردية لندن قد خلا من الاشارة الى الاثنارخيس من قريب أو بعيد • وهم يعتبرون ذلك دليلا واضحا على زيف خطاب الامبراطور عند يوسف وكما سندلل على ذلك فيما بعد • ولما كنا لم نستطيع تبين حقيقة الأسباب التى ربما تكون قد دعت أغسطس الى مثل هذا التدخل ، فاننا لذلك نفضل الأخذ برأى المؤرخين الذين ذهبوا الى القول ببقاء منصب الاثنارخيس بعد أن جرد من الكثير من الاختصاصات التى حولت الى مجلس الشيوخ الجديد •

أما عن مجلس الشيوخ فانه لم ترد فى مصادرنا معلومات تفصيلية عن عدد أعضائه لكننا نرجح أنهم كانوا واحدا وسبعين عضوا وذلك قياسا على عدد أعضاء مجلس Synédrion فى فلسطين • واستنادا الى الرأى القائل بأن الجالية بأكملها كانت مشكلة على نسق النظام المعمول به فى أورشليم •

والى جانب الاثنارخيس ومجلس الشيوخ كان يوجد عدد من الأراخنة أو الحكام كانوا يشغلون بعض المناصب الخاصة كما كانت توجد أيضا طائفة من الرؤساء كانوا يعرفون باسم أراخنة السيناجوج archisynagôgoi • وقد كشفت احدى الوثائق

اليهودية عن وجود دار لحفظ السجلات والوثائق الخاصة باليهود كانت تعرف باسم دار أرشيف اليهود archeion tôn Ioudaion

ومما تقدم يتضح أن الجالية اليهودية كانت تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتي وأنها بلغت قدرا كبيرا من التنظيم وأفادت بشكل واضح من الامتيازات التي منحت لها في العصر البطلمي • وعندما جاء العصر الروماني ازدادت تماسكا وتنظيما وأفادت من اعتراف القانون الروماني بقيام هذا النوع من الجاليات أو الاتحادات وسماحه لهما بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها فضلا عن أنه كفل للجالية الحرية والحماية ورفع الشكاوى الى الامبراطور دفعا لظلم أو التماسا لمنفعة • وقد اعتبرت الادارة الرومانية الدين مسألة خاصة بمعتنقيه لا تتدخل في الشئون المتصلة به وذلك تحقيقا لمبدأ التسامح الديني الذي درجت عليه الامبراطورية الرومانية • واذا كان كاليجولا قد أخطأ في محاولته حمل اليهود على وضع تماثيله وصوره في هياكلهم مما شجع اغريق الاسكندرية على اقتحام بيعة الاسكندرية الكبرى فان الامبراطور كلاوديوس سجل في قرار رسمي خطأ سلفه وخروجه عن السياسة الرومانية التقليدية وأكد اليهم حقوقهم وامتيازاتهم من جديد • ويتصل بحق الجالية في عقد الاجتماعات واصدار القرارات حقها الذي كان لها منذ أيام البطالمة في انشاء خزانة خاصة لجميع الأموال والتبرعات التي كان يقدمها أبناؤها لارسال نصيب منها الى هيكل أورشليم وللانفاق منها على شئون الجالية ودفع رواتب الموظفين وشراء البيع وانشائها واصلاحها وشراء أراضي المقابر • وكانت الادارة الرومانية تسمح لها بحق التملك وادارة أملاكها وتعترف بما يترتب على ذلك من تصرفات قانونية • وقد كانت جالية الاسكندرية بفضل هذه الامتيازات عاملا قويا في دعم تماسك يهود المدينة واحساسهم بأنهم جماعة ممتازة •

ويستوقفنا الاسم الذي أطلقه فيلون على جالية يهود الاسكندرية اذ كان دائما يستعمل كلمة Politeia وقوله أنها كانت تحافظ على تقاليدنا المتوارثة ethea patria وتكفل لليهود المشاركة في الحقوق السياسية metousia politikon

وقوله بعد ذلك أن أسلافنا كانت تتوقف على مراعاة هذين المبدأين ، وأن القضاء على جاليتهم Politeia وعلى هذين المبدأين لأعظم خطرا من القضاء على البيع اليهودية • ولما كنا قد فسرنا كلمة politeia بأنها عضوية الجالية politeuma فانها لذلك تفسر الحقوق السياسية التي أشار اليها فيلون بأنها ليست حقوق المواطنة وانما الحقوق المترتبة على عضوية هذه الجالية • وكونه يرى أن أمن الجالية وسلامتها كان يتوقف على مراعاة حق أفرادها في أن يعيشوا في حرية تامة في كنف جاليتهم ليتسنى لهم الحياة طبقا لما تقضي به شريعتهم وتقاليدهم لهو أمر واضح ومنطق سليم • وهكذا يتأكد لنا من أقوال فيلون ما كان اليهود يعلقونه من أهمية على الانتماء الى تلك الجالية وعلى اعتراف الحكومة الرومانية بها وبالوضع القانوني لأفرادها • وقد عبر فيلون بحق عن مدى الانزعاج الذي أصابه وأصاب قومه عندما تطرف اغريق الاسكندرية في حملتهم عليهم في عام ٣٨ م وأرادوا أن يحملوا فلاكوس على عدم الاعتراف لليهود بأي حق في الاقامة في المدينة فقنعوا بعزلهم في حيهم بالرغم من ضخامة عددهم • وزاد هم فلاكوس ارهاقا وذلة عندما قضى على جاليتنا politeia واعتبرهم " أجانب ودخلاء على المدينة " Xenous kai epeludas وكان يدينهم بغير محاكمة ولا يسمح لهم بحق الدفاع عن أنفسهم • وعندما ركب كاليجولا رأسه واعتبر نفسه القانون لم تعد للحقوق التي نالوها من الدولة أية قيمة وفقدوا كل الضمانات القانونية التي كانت جاليتهم تستظل بحمايتها • وعندما زالت المحنة وأفاق اليهود مما أصابهم جاء كلاوديوس ليؤكد لهم من جديد حقوقهم وامتيازاتهم وأعاد اليهم الضمانات القانونية التي كانت الدولة تكفلها لهم وعادت الجالية الى سابق عهدها تباشر نشاطها وتستعيد ما فقدته • ولكن لم يقدر لجالية اليهود أن تعيش في هدوء وسلام وعادت الفتن من جديد وثار اليهود عام ٦٦ م • وأخمد الحاكم الروماني تيبريوس يوليوس اسكندر اليهودي الصابئ هذه الثورة بقسوة بالغة • ومالبث يهود أورشليم أن قاموا بتلك الثورة التي انتهت بكارثة تدمير الهيكل في عام ٧٠ م واخضاع يهود الامبراطورية لضريبة اليهود وانصراف مجهود روما الى منع اليهود من اعادة اقامة ملكهم أو تشييد هيكلهم • ولم يسمح

فسباسيان بأن يكون لهم روءساء أو أحبار فى أورشليم وأخذ يطارد كل من كان يمت بصلة الى أسرة الحبر الأعظم أو من كان من نسل داود حتى لا تقوم لليهود أية زعامة دينية فى فلسطين • وتتبع اليهود الذين فروا الى مصر وكانوا من طائفة الغلاة Sicarii وأصدر أمره باغلاق معبد ليئتوبوليس ثم بهدمه خوفا من اثارة يهود مصر وتجمعهم حوله كبديل عن هيكل أورشليم • ولا نعرف مدى ما عساه أن يكون قد نال يهود الاسكندرية سيما وأن طائفة منهم قد وقفوا موقفا سلبيا من محاولة طائفة الغلاة وأسلموا نفرا من زعمائهم الى السلطات الرومانية ولعل تصرفهم على هذا النحو كان يبطن فى طياته اشفاقهم من أن ينالهم أذى نتيجة لثورة بنى دينهم فى فلسطين ورغبتهم فى اتقاء غضب الامبراطور الذى لمسوه عن كثب وحسبهم تدخله فى أمر الأموال التى كانوا يقدمونها الى هيكل أورشليم وتحويلها الى جوبيتر الاله الوثنى الرومانى مما جرد جالياتهم من مظهر هام من مظاهر استقلالها • واذا كانت السلطات الرومانية قد جردت مجلس Synédrion فى فلسطين من كثير من اختصاصاته القضائية والتشريعية فهل حدث نفس الشىء بالنسبة لمجالس الجاليات الاسكندرية ؟ يحدثنا يوسف بأنه عندما طالب الاسكندريون والانطاكيون فسباسيان وتيتوس حرمان اليهود من أن يكونوا Politias ورد الامبراطور وابنه بأن الذين حاربوا ضد روما قد عوقبوا ولا ينبغى أن تؤخذ بقية اليهود بجريرتهم • واذا كان معنى هذا الرد أن فسباسيان لم يشأ المساس بحق اليهود فى تشكيل الجاليات فانه لا يعنى بحال أن الجالية استمرت محتفظة بكامل امتيازاتها • وصمت يوسف عما عساه أن يكون قد حدث على أيامه ، لا يعنى أن الامبراطور لم ينتقص شيئا من حقوق اليهود والاختصاصات التى كانت تتمتع بها مجالسها •

والواقع أن المؤرخين الذين درسوا وضع اليهود بعد سنة ٧٠ م انقسموا الى فريقين قال أحدهما بأن الشعب اليهودى اختفى من الوجهة القانونية بعد حوادث تلك السنة لأنه منذ ذلك التاريخ تجاهل القانون الرومانى اليهود كشعب ولم يعترف

الا بالدين اليهودى كدين مشروع شأنه شأن كافة الاديان التى كانت تعتنقها شعوب الامبراطورية • ومن ثم تحولت جاليات اليهود فى أرض الشتات الى مجرد جماعات لا يعترف بها الا بحق مباشرة شئون دينها ولا شئ أكثر من ذلك • أما الفريق الثانى من المؤرخين فيقولون ببقاء الشعب اليهودى لأن الدين اليهودى فى نظرهم لم يكن مثل سائر الأديان الوثنية التى يقبل على اعتناقها جماعات جنسية متعددة بل كان دينا خاصا بأهله ولم تكن روما لتعترف بتهود أى شخص لم يكن يهوديا بحكم مولده ولا تعترف للذين هادوا حديثا باكتسابهم أية امتيازات خاصة باليهود • وبذلك كان الدين اليهودى مقصورا على اليهود بحكم مولدهم وبحكم كونهم جماعة أو شعب •

ولقد عرفنا أن وفدا يهوديا ذهب الى روما سنة ١١٠ م ليعرض شكواه على تراجان وأنه بالرغم من الخسائر الفادحة التى لحقت اليهود فى فتنة عام ١١٥ م • الا أن وفدا يهوديا ذهب الى روما مرة أخرى فى عهد هادريان فى أواخر عام ١١٧ أو أوائل عام ١١٨ ومعنى هذا أن الجالية كانت لا تزال قائمة من الوجهة القانونية لأن ارسال الوفود الى الأباطرة فى روما كان من حق الجاليات المعترف بقيامها قانونا • اننا نستطيع أن نتصور أن الرومان ضيقوا الخناق على يهود الاسكندرية واتخذوا اجراءات شديدة ضد اليهود جميعا ، لكنهم مع ذلك لم يذهبوا الى حد حرمان اليهود تكوين جاليات لهم •

وهكذا نرى أن الجالية التى قامت لليهود فى الاسكندرية فى العصر البطلمى استمرت قائمة كذلك فى العصر الرومانى مستمدة كيانها من استمساكها بدينها ووفرة عددها ونشاطها الاقتصادى • وقد كان فى استطاعة هذه المنظمة شبه السياسية أن تظل بمنأى عن تدخل السلطات الرومانية اذا ما راعت الحدود التى ينبغى أن تقف عندها • واذا كان اليهود فى العصر البطلمى قد قنعوا بالحقوق والامتيازات التى ترتبت على عضويتهم لهذه الجالية دون أن يفوزوا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية فهل

استمر وضعهم كذلك فى العصر الرومانى ؟

زعم يوسف أن يهود الاسكندرية فى العصر الرومانى كانوا مواطنين كاملين وأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ بداية العصر البطلمى ان لم يكن الاسكندر نفسه هو الذى منحهم هذه الحقوق . وأجهد هذا المؤرخ اليهودى نفسه لاثبات صحة دعواه . وكان أبيون ألد أعداء اليهود يسخر بدوره من هذه الدعوى ويدلل على زيفها . ولما كان يوسف قد عنى بالرد على أبيون فان هذا يوحى بأن مسألة تمتع اليهود بحقوق المواطنة فى الاسكندرية وفريق ينكر عليهم ذلك . وغايتنا اليهود وخصومهم . وقد انعكس أثر هذا الجدل فى كتابات المؤرخين المحدثين الذين تصدوا لبحث الوضع المدنى لليهود فى الاسكندرية فانقسم هؤلاء المؤرخون بدورهم الى فريقين فريق يقول بتمتع اليهود بحقوق المواطنة فى الاسكندرية وفريق ينكر عليهم ذلك . وغايتنا أن نتبين الحقيقة فى ضوء دراستنا للوثائق التى بين أيدينا والمعلومات التى تهدينا الى توضيح وضعهم الحقيقى فى الاسكندرية . واذا كنا قد جزمنا بأن اليهود لم يكونوا مواطنين فى العصر البطلمى فانه يتعين علينا أن نبين اذا كانت هذه الوثائق تؤكد استمرار وضعهم كذلك فى العصر الرومانى أم تشير الى حدوث تغيير فى ذلك العصر أفضى الى دخول اليهود هيئة المواطنين . ولا جدال فى أنه كانت لحقوق المواطنة فى الاسكندرية فى العصر الرومانى أهمية كبيرة فقد كان المواطنون يعفون من دفع ضريبة الرأس ، وكانت علامة الذلة والمهانة وكذلك من أعمال السخرة والخدمة الاجبارية خارج مدينتهم ، فضلا عن أنهم كانوا فى مأمن من التعرض للعقوبات الجسدية القاسية . وكان الحصول على هذه الحقوق قبل صدور دستور كاركلا شرطا أساسيا لاكتساب حقوق المواطنة الرومانية .

وقد قدمنا أن الرومان عندما فتحوا مصر أبقوا على طبقة مواطنى الاسكندرية باعتبارها طبقة ممتازة تأتى مع مواطنى المدن الاغريقية الأخرى فى المرتبة الثانية بعد طبقة المواطنين الرومان . ولما كانت كلمة Alexandreis تطلق فى القرن الأول

الميلادى على المقيمين فى الاسكندرية سواء أكانوا مواطنين أم غير مواطنين ، فقد حرص المواطنون الكاملون أشد الحرص أن يقرنوا بأسمائهم دائما اسم القبيلة التى كانوا ينتمون اليها واسم الحى الذى كانوا مسجلين فيه ، بينما اعتاد غير المواطنين المقيمين فى المدينة اضافة عبارة hoi apo or hoi ex Alexandreias الى اسمائهم وكانوا فى نظر القانون الرومانى مجرد رعايا أجانب Pregrini Dediticii

ولم يكن فى وسعهم أن يسجلوا الناشئة من أبنائهم فى قوائم الشبان ephebeia وبالتالى لم يكن فى استطاعتهم الالتحاق بالجمنازيوم بعد أن أصبح فى العصر الرومانى مؤسسة خاضعة لرقابة الدولة والالتحاق بها وقفا على الاغريق دون غيرهم • وتوضح وثيقتان أحدهما من تلك المجموعة التى عرفت باسم رسائل أعمال شهداء الاسكندرية والثانية عبارة عن قرار رسمى أصدره الامبراطور كلاوديوس الى مدينة الاسكندرية موقف مواطنى المدينة والموقف الرسمى للدولة من مسألة حقوق المواطنة السكندرى • والوثيقة الأولى التماس تقدم به وفد يمثل هيئة المواطنين فى المدينة الى أحد الأباطرة الثلاثة الأوائل يطلبون فيه السماح للمواطنين بتشكيل مجلس الشورى boulé من جديد • ويعنينا هنا من محتويات هذه الوثيقة أن الوفد السكندرى وعد الامبراطور بأن هذا المجلس لن يسجل فى قوائم الشبان كل من كان يدفع ضريبة الرأس لكى لا يتعرض دخل الامبراطورية للنقصان ولكى لا يفسد قوم يفتقرون الى التربية والتعليم نقاء هيئة المواطنين • ونتبين من الوثيقة الثانية أن مواطنى المدينة تقدموا الى الامبراطور كلاوديوس بالتماس آخر يتعلق بحقوق المواطنة فى الاسكندرية وان الامبراطور استجاب الى ملتمسهم فأمر باستبعاد كل من تسلل الى قوائم الشبان بدون وجه حق • ونستدل من هاتين الوثيقتين على مدى اهتمام مواطنى المدينة بنقاء هيئتهم ومنع تسلل غير المواطنين الى قوائم الشبان وبالتالى الى الجمنازيوم ، كما نستدل من الوثيقة الثانية بصفة خاصة على اهتمام الامبراطور بابعاد كل دخيل عن هيئة المواطنين • وفى هذا الدليل القاطع على أنه حقوق المواطنة فى الاسكندرية لم تكن ميسورة لكل الطامعين فيها وأنها كانت تغرى غير المواطنين بمحاولة التمتع بها بدون وجه حق وإذا كان قد حدث فى العصر البطلمى شئ من التراخى فى مراقبة ~~جمعيات~~ الشبان والجمنازيوم فانه فى العصر

الرومانى وجهت عناية كبيرة لوقف التسلل الى صفوف المواطنين ٠

وفى ضوء الحقائق التى تقدمت نعرض الوثائق المتعلقة بالوضع المدنـــى ليهود الاسكندريــة ٠ وأولى هذه الوثائق التماس تقدم به فى ٤/٥ ق ٠ م يهودى يدعى هيلينوس بن تريفون الى الحاكم الرومانى جايوس توانيوس C. Turranius ٠ ونظرا لسوء حالة البرديـة لم تستطع الوقوف بكل دقـة على الغرض الذى من أجله قـــدم الالتماس ، وكل ما يمكن استخلاصه من الالتماس هو قول صاحبه انه ابن مواطـــــن اسكندرى Alexandros وعلى قدر من الثقافـة الاغريقيـة لعله حصل عليه مـــن التحاقه بالجمنازيوم ، وأنه مواطن اسكندرى Alexandreos ثم عاد هو أو كاتـب الالتماس فأجرى قلمه على هذه الكلمة وأثبت فوقها عبارة " يهودى من الاسكندريــة " Ioudaion ton Alxandr (ias) ولما كان صاحب الالتماس قد كرر استخـدام كلمة laographia ثلاث مرات على الاقل فى ستة أسطر وذكر أنه بلغ سن الحاديـــة والستين فانه يفهم من ذلك أنه يطلب الاعفاء من ضريبـة الرأس لبلوغه سن الاعفـــاء ٠ وقد ذكر بعد ذلك أنه اذا استمر فى دفع هذه الضريبة فانه يخشى أن يضطره ذلك الى هجر وطنه (الاسكندرية) Patris

ونستنتج من هذه الوثيقـة عدة أمور :

أولا — وصف صاحب الالتماس نفسه بأنه اسكندرى لكن يبدو أنه عندمـــا أدرك هو أو كاتب الالتماس ان هذا الوصف برغم زعمه أن ثقافته اغريقيـة وأباه اسكندرى لا يستقيم مع دفع ضريبـة الرأس ، استبدل بكلمة " اسكندرى " عبارة يهودى مقيم فى الاسكندرية ٠ والفارق كبير بين " اسكندرى " و " يهودى من الاسكندرية " ٠

ثانيا — هذا التصحيح بليغ فى دلالته وتكاد نجزم أن الدافع اليه لم يكـــن الاستحياء من انتحال صفـة غير حقيقيـة والا لما أقدم صاحب الالتماس أصلا على ذلك ، وانما الخوف من مغبـة وقوف الحاكم الرومانى على الحقيقـة فيعاقبه أو على الاقل يرفض

التماسه • وهذا أيضا يدل على أمرين أحدهما أنه قانونا كان لا يجوز اطلاق وصف اسكندرى الا على المواطنين فكان يتعين مراعاة ذلك فى الوثائق المقدمة الى الجهات الرسمية وان كان غير مستبعد أن الناس ولا سيما غير المواطنين لم يتقيدوا بذلك فى أحاديثهم ورسائلهم غير الرسمية والأمر الآخر أن الادارة الرومانية كانت حريصة على وضع كل شخص فى وضعه القانونى •

ثالثا — لا نستطيع الاطمئنان الى أن والد صاحب الالتماس كان مواطنا اسكندريا ولعل الابن لم يعن بتصحيح وصف أبيه مثلما عنى بتصحيح وصف نفسه لأنه لم يوجد فى الالتماس ما يتنافى مع هذا الوصف أولأن أباه كان قد توفى منذ أمد بعيد ولم يكن هناك سبيل لاثبات مجافاته الحقيقة • وحتى اذا سلمنا بأن الأب كان مواطنا بالفعل ونال حقوق المواطنة بطريقة ما فانه لم يكن من حق الإبن أن يرث وضعه •

رابعا — بالرغم من أن صاحب الالتماس كان قد تلقى تربية اغريقية ومن أن أباه كان مواطنا الا أن ذلك كله لم يعفه من دفع ضريبة الرأس ولم يرتفع به الى مرتبة المواطنين •

خامسا — لعلنا لا نسرف اذا اتخذنا من هذه الوثيقة دليلا على أن اليهود فى الاسكندرية كانوا غير مواطنين وأنه كان يجب عليهم أن يثبتوا الى جانب أسمائهم فى الوثائق الرسمية عبارة " يهود من الاسكندرية " •

والوثيقة الثانية التى تعيننا على تفهم الوضع القانونى ليهود الاسكندرية بردية لندن رقم (١٩١٢) التى تتضمن الخطاب الذى بعث به الامبراطور كلوديوس الى الاسكندرية سنة ٤١م • بعد استماعه الى الوفد الاسكندرى والوفد اليهودى اثر تجدد الاضطرابات فى ذلك العام • وقد تناول هذا الخطاب مسائل شتى سبقأن عرضنا الى جانب منها وفيما يلى ما جاء فى هذا الخطاب خاصا باليهود :

... ولهذا أناشد ، للمرة الثانية الاسكندريين من ناحية أن يبدوا روح التسامح والود لليهود الذين عاشوا فى المدينة نفسها منذ سنوات طويلة ، وألا يعتدوا عليهم أثناء قيامهم بطقوس عباداتهم التقليدية ، وأن يدعوهم يمارسون عاداتهم كما كانوا يفعلون أيام المؤله أغسطس والتى أقررتها بعد سماع أقوال الطرفين .

وأناشد اليهود من ناحية أخرى ألا يتطلعوا الى أكثر مما حصلوا عليه حتى الآن ، وألا يرسلوا بعد اليوم ، بعثتين كما لو كانوا يعيشون فى مدينتين ، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل وألا يقحموا أنفسهم فى مباريات النوادى وتدريبات الشباب ، بل عليهم أن ينتفعوا بما فى حوزتهم ، ويتمتعوا فى مدينة ليست بمدينتهم en allotria polei بوفرة من الخيرات كافة " .

وأهم النقاط التى تعنينا فى هذا المقام من أمر هذا الخطاب هى :

أولا = أن كلوديوس حث اليهود على أن يقنعوا بما لديهم من امتيازات ولعله كان يقصد تلك الامتيازات التى كانت جاليتهم تتمتع بها من حيث أنها كانت تكفل لها الحرية الدينية التامة وقدرا لا بأس به من الاستقلال مع نحو ما رأينا .

ثانيا = ان الامبراطور حظر على اليهود بكل صراحة وحزم الاشتراك فى نشاط الجمنازيوم ومبارياته وهذه كما نعرف كانت جزءا لا يتجزأ من التعليم فى الجمنازيوم ومعنى ذلك أنه لا يعترف لهم بأى حق بأن يكونوا أعضاء فى منظمات الشباب وبالتالى ليس لهم حق الانتساب الى هيئة المواطنين .

ثالثا = ناشد الامبراطور اليهود ألا يطالبوا بمزيد من الامتيازات فى مدينة لم تكن مدينتهم وهو فى هذا يتفق كل الاتفاق مع قول فلكوس أن اليهود أجانب وغرباء Xenoi kai epeludai وفى هذا دليل قاطع على أن اليهود كانوا يملكون حق الاقامة فى المدينة origo دون أن يكون لهم حق الاندماج فى هيئة مواطنيها ، واعتراف الرومان بالجالية اليهودية لم يترتب عليه أكثر من حق اليهود فى الاقامة الدائمة فى المدينة وممارسة حقوق معينة فى نطاق هذه الجالية •

وبذلك يكون الامبراطور كلاوديوس قد أوضح وضع اليهود القانونى بأنهم يشكلون جالية تعترف الدولة رسميا بقيامها وربما اكتسبته هذه الجالية من امتيازات محددة لكنه أوضح فى الوقت نفسه أنهم ليسوا مواطنين بدليل أنه حظر عليهم الاشتراك فى مباريات الجمنازيوم • وقد مر بنا مدى حرص الادارة الرومانية على تحرى الدقة فى اثبات أسماء المواطنين فى سجلات الشباب وبالتالى فى قوائم الجمنازيوم ، فانه ما كان يجوز لامبراطور فى مثل فطنة كلاوديوس ودقته أن يلقى الكلام على عواهنه ويصفهم على هذا النحو الا اذا كانوا رسميا كذلك • وقد رأى من الحكمة افهام اليهود ادراكه حقيقة وضعهم فى المدينة بعبارات واضحة لا لبس فيها ولا ابهام •

وقد نسب المؤرخ اليهودى يوسف الى الامبراطور كلاوديوس أنه أرسل الى حاكم مصر خطابا بخصوص يهود الاسكندرية استجابة لرجاء الملكين الشقيقين أجريبا الأول وهيرود اللذين كانا يسعيان الى بث الطمأنينة فى نفوس بنى دينهم فى الاسكندرية بعد ذلك تلك المحنة التى تعرضوا لها سنة ٣٨ م • وقد جاء فى هذا الخطاب :

" اننى واثق من أن يهود الاسكندرية المسمـــون بالاسكندريين tous en Alexandreia Ioudaiou. legomenous كانوا شركاء للاسكندريين فى سكنى المدينة فى الازمنة القديمة ، وأنهم حصلوا مثلهم من ملوكها على نفـس الامتيازات politeias كما هو موضح فى السجـلات العامة التى فى حوزتهم وفى القرارات نفسها .

وعند ما أخضع أغسطس الاسكندرية لامبراطوريته ظلـت حقوقهم وامتيازاتهم مكفولة لهم ولم يثر بشأنها أى خلاف .. حتى انه عند ما كان أكويلا Aquila حاكما على الاسكندرية وحدث أن مات الاثنارخيس اليهودى ، لم يمنع أغسطس تنصيب غـيره فى هذا المنصب وذلك عملا بسياسته القائمة على ترك الشعوب الخاضعة للامبراطورية تباشر طقوس دينها دون أى تدخـل من الدولة ، ولكن الاسكندريين أنزلوا الاهانات باليهـود الذين يقيمون بين ظهرانيهم ، وحط جايوس بدافع من جنونـه ونقص مداركه من شأنهم الى حد بعيد لانهم رفضوا التخلى عن دينهم والمناداة به ربا ، وازاء كل ذلك قررت ألا يحرم اليهـود من حقوقهم وامتيازاتهم بسبب ذلك المس من الجنون الذى أصاب جايوس ، وأن يحتفظوا بما كان لهم من حقوق وامتيازات سابقـة وأن يستمروا فى مراعاة تقاليدهم وعاداتهم .

وقد أثار هذا الخطاب عدة نقاط أهمها :

أولا — أن اليهود فى الاسكندرية كانوا يسمون الاسكندريين .

ثانيا — أنه كان فى حوزتهم وثائق تثبت أنهم منحوا ises politeias من ملوك البطالمة مثل الاسكندريين سواء بسواء .

ثالثا — أقر أغسطس ما كان لهم من حقوق وامتيازات وأعاد كلوديوس تلك التى كان كاليجولا قد أمر بابطالها •

رابعا — أكد هذا الامبراطور حق اليهود فى مباشرة عاداتهم والتمسك بها •

خامسا — لم يلغ أغسطس منصب الاثنارخيس

وقد استرعت عبارة أن اليهود فى الاسكندرية كانوا يسمون " الاسكندريين " اهتمام المؤرخين واختلفوا فى تفسيرها • واعتبر البعض أن هذا اعتراف صريح بأن يهود الاسكندرية كانوا مواطنين فى المدينة وأنهم كانوا لذلك يحملون لقب الاسكندريين فى حين أن البعض الاخر يرى أن هذه العبارة بالذات أقحمت على الخطاب ونحن نرى أن نص هذه العبارة ذاته بما ينطوى عليه من غموض مقصود يدل على أنهم لم يكونوا مواطنين لأنهم لو كانوا فعلا كذلك لوصفهم النص بأنهم " مواطنو الاسكندرية اليهود " بدلا من أن يصفهم بأنهم " يهود الاسكندرية الذين يدعون اسكندريون " لكنه لم يكن فى وسع يوسف أن يسند الى الامبراطور صراحة وصف اليهود بأنهم " اسكندريون " خشية أن يفضح تزييفه بنفسه فلجأ الى الغموض هنا مثل ما لجأ اليه فى عبارة ises poli فى الوثيقة نفسها ليزعم أن اليهود منحوا حقوقا سياسية مساوية للاغريق والمقدونيين فى حين أنهم لم يمنحوا الا حق تأليف جالية لهم مثل الاغريق والمقدونيين من الجلى أن الهدف الرئيسى لهذه الوثيقة هى تأكيد حقوق اليهود وامتيازاتهم والادعاء بأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ انشاء المدينة ولكن لما كان هذا الادعاء يجافى الحقيقة فانه صيغ فى عبارات غامضة ملتوية • ويتضح زيف هذه الوثيقة من مقارنتها بمحتويات خطاب الامبراطور الذى حفظته وثيقة لندن وما وصفهم به فلاكوس حيث يتضح أنهم كانوا غرباء يعيشون " فى مدينة ليست مدينتهم " • ومن الذى كان يدعو اليهود اسكندريين ؟ أهم مواطنو الاسكندرية أم الادارة الرومانية أم اليهود أنفسهم ؟ ان الوثائق لا تدع مجالا للشك فى أن اليهود أنفسهم هم الذين كانوا ينتحلون هذه الصفة على نحو ما رأينا فى التماس اليهودى سالف الذكر •

والى جانب هذه الوثائق المتقدمة لدينا ثلاث وثائق تنتمى الى تلك المجموعة من البرديات التى تعرف باسم أعمال شهداء الاسكندرية • واذا لم تكن هذه المجموعة من الوثائق ذات قيمة تاريخية حقيقية فانها تعكس اتجاهات معينة للاغريق الاسكندرية وتوضح الى حد ما موقف الاسكندريين من محاولات اليهود للحصول على حق المواطنة فى مدينتهم •

والبردية الاولى هى البردية المعروفة باسم بردية مجلس الشورى وقد سبق أن أشرنا اليها فى معرض الحديث عن مطالبة الاسكندريين بأن يكون لهم مجلس شورى • ويستوقفنا مرة أخرى ما قاله وفد الاسكندرية من " أن هذا المجلس فى حال قيامه سيعنى بألا يدرج فى قوائم الشباب كل من كان يدفع ضريبة الرأس laographeisthai وانه سيعنى كذلك بألا يفسد نقاء هيئة المواطنين قوم يفتقرون الى التربية والتعليم Athreptoi Kai agagogei

وقد تواضع كثير من المؤرخين على تفسير هذه البردية بأنها تعبر عن رغبة الاسكندريين فى عدم السماح لليهود بأى حال بالانضمام الى هيئة المواطنين فى المدينة لانهم قوم يخضعون بالفعل لضريبة الرأس ولانهم فضلا عن أنهم لا يملكون الحق فى دخول الجمنازيوم والتزود بثقافته ولا يحق لهم فى العصر الرومانى الاستمرار فى التسلل الى جماعات الشباب ثم الى الجمنازيوم حتى اذا كانوا قد أفلحوا فى ذلك العصر البطلمى اذ أن الجمنازيوم كان يخضع للادارة الرومانية التى فرضت عليه رقابة دقيقة لا تسمح لغير الاغريق بأن ينالوا عضويته •

أما البردية الثانية فهى من البهنسا ويرجع تاريخها الى تلك الفترة التى سادت فيها الفتن بين الاغريق واليهود فى الاسكندرية ابان ثورة اليهود فى فلسطين فى عام ٦٦ م • وموضوع هذه البردية محاكمة جرت امام السلطات الرومانية ربما بسبب تلك الفتن والمتهمون أربعة بينهم امرأة وقد وردت فيها عبارة kata ton apaideuton ولا تسمح حالة البردية بتبيين أكثر من ذلك • ويرجح الناشرون أن المقصود بكلمة

apaideotoi القوم غير المتحضرين وهم اليهود • ووافق على هذا الترجيح بارلز بعد أن قارن بين مدلول هذه الكلمة ومدلول عبارة athreptoi kai anagogoi فى البردية السابقة • وفى رأيه أن البرديتين تحدثنا بطريقة واحدة عن اليهود والحفا فى وصفهم بالغلظة ونقص الثقافة على النحو الذى كان يفهمه اغريق الاسكندرية • ومن ثم فان هذه البردية أيضا تصور الطابع الذى كان اليهود يتصفون به وبالتالى انهم غرباء عن مواطن الحضارة الاغريقية وعن هيئة المواطنين • وازاء ما اتسم به اليهود من الخشونة والنقص فى الثقافة كان الاسكندريون يحرصون على ابعادهم عن هيئة المواطنين ومنتدياتهم حتى لا يفسدوا نقاءها •

وتحدثنا البردية الثالثة وهى المعروفة باسم أعمال ايسيدوروس Acta Isidori عن محاكمة جرت فى احدى حدائق الامبراطور فى روما فى أول يونيو سنة ٥٣ م بسبب فتنة حدثت بين اليهود والاغريق فى تلك السنة وكان ايسيدوروس رئيس الجمنازيوم فى الاسكندرية على رأس الوفد السكندرى • ويهمنا من هذه البردية جانب من الحوار الذى دار بينه وبين أجريبا الملك اليهودى الذى نصب من نفسه مدافعا عن يهود الاسكندرية اذ وجه الزعيم الاسكندرى الى هذا الملك هذا السؤال " أوليس اليهود يدفعون ضريبة الرأس مثل المصريين ؟ "

واذا كانت الاشارة فى بردية مجلس الشورى الى أن اليهود يدفعون ضريبة الرأس غير صريحة فانها هنا فى هذه البردية صريحة تماما وناطقة بمدى احساس الاسكندريين بأن هذه الضريبة علامة ذلة اليهود وأنهم أجانب عن مدينتهم مثلهم فى ذلك مثل المصريين سواء بسواء •

وتروى لنا بردية رابعة قصة سفارتين احداهما يهودية والأخرى اغريقية وفدتا الى روما بمناسبة فتنة نشبت فى الاسكندرية سنة ١١٠ م للمثول فى حضرة الامبراطور تراجان وكان الوفد الاسكندرى يحمل تمثالا للاله سيرابيس ، بينما كان الوفد اليهودى

يحمل رمزا دينيا لليهود لعله كان لفافة بردية مدون عليها التوراة وقد عبر هرمايسكوس رئيس الوفد الاسكندرى عن انزعاجه من امتلاء مجلس الامبراطور باليهود الملحدين anosioi وعندما ثار الامبراطور لهذا الاتهام سخر منه هرمايسكوس وقال " أويزعجك اذن ذكر اليهود ؟ ان كان الأمر كذلك نجدير بك أن تمد يد العون لبنى قومك tois seautou والا تنبرى للدفاع عن اليهود الملحدين " .

وقد وصف اليهود مرة أخرى فى بردية من برديات أعمال شهداء الاسكندرية بأنهم ملحدون . فضلا عن أن هذا الوصف تكرر فى عدد آخر من البرديات .

واذا كان اليهود فى عرف أهل الاسكندرية ملحدين فان ذلك يعنى أنهم لم يؤمنوا بدين المدينة أو أنهم atheoi على حد وصف أبوللونيوس مولون Apollonius Molon لهم . وهكذا عبر الاسكندريون عن شعورهم بالفوارق الدينية التى كانت تفصل بينهم وبين اليهود وأفصحوا عن وجود هوة عميقة تفصل بين دين اليهود والأديان الوثنية الأخرى التى يشترك الرومان معهم فى اعتناقها . ومن أجل ذلك استنكر هرمايسكوس تخلى الامبراطور تراجان عن بنى قومه أو بالأحرى عن أغريق المدينة الذين تجمع بينه وبينهم صلات ووشائج كانت الروابط الدينية من أبرزها دون شك فى حين أنه لا توجد مثل هذه الروابط بين الامبراطور واليهود الذين نصب من نفسه حاميا لهم . ولما كان الدين عاملا هاما له وزنه بالنسبة لحقوق المواطنة باعتبار اعتناقه شرطا أساسيا للحصول عليها فى مدينة اغريقية مثل الاسكندرية ولما كانت عضوية القبائل والأحياء تتطلب عبادة اله القبيلة واحترام مقدساتها فاننا نوافق أبيون على تساؤله " كيف يزعم اليهود أنهم مواطنون فى حين أنهم يرفضون عبادة آلة المدينة ؟ " . وفى اعتقادنا أنه لم يكن فى وسع اليهود بأية حال التوفيق بين أوامر شريعتهم وبين الالتزامات التى كانت عضوية المدينة تفرضها ولم تكن مشاعرهم تستسيغها مهما قيل عن تحررهم . وقد رأينا أن الرومان ومن قبلهم البطالمة وفروا لليهود الحرية الدينية المطلقة فضلا عن

اعفائهم من عبادة الاباطرة وكل ما يتصل بها من التزامات •

ونترك الوثائق البردية جانبا لنناقش أقوال كل من فيلون الفيلسوف اليهودى السكندرى ويوسف المؤرخ اليهودى ونلخص أقوال فيلون فيما يلى :

أولا ـ تحدث فيلون عدة مرات عن يهود الاسكندرية ووصفهم بأنهم اسكندريون Alexandreis

ثانيا ـ وصف اليهود بأنهم غرباء أقاموا فى مصر أصدقاء لسكانها metoikoi kai philoi

ثالثا ـ قال أن اليهود لا يختلفون كثيرا عن سكان الاسكندرية ولذلك فهم يتوقون الى الحصول على مواطنة المدينة •

رابعا ـ قال ان فلاكوس عندما دمر politeia الخاصة بنا حرمنا من politikon dikaion

خامسا ـ أثبت أنه شخص الى روما للدفاع عن هذه ال politeia

سادسا ـ سجل على فلاكوس أنه أمر بجلد اليهود الاسكندريين بنفس الطريقة التى كان يجلد بها المصريون وكانوا من قبل يجلدون مثل الاغريق من المواطنين •

سابعا ـ قال أن فلاكوس أصدر قراره بأن اليهود فى الاسكندرية غرباء وأجانب xenoi kai epeludes

والذى يثير الشك من أقوال فيلون وصفه يهود الاسكندرية بأنهم اسكندريون واستخدامه لكلمة Politeia وحرمان الجالية من الحقوق السياسية metousia politikon dikaion

واذا كان فيلون قد وصف اليهود بأنهم " اسكندريون " فانه فى ضوء كل ما أسلفنا يجب رفض ما قد يوحى به هذا الوصف من أنهم كانوا مواطنين اسكندريين وان كان ذلك هو بالضبط ما هدف اليه فيلون ولا سيما أنه اتبع ذلك بالكلام على ال politeia اليهودية • ان تحايل فيلون واضح وتلاعبه بالألفاظ مفضوح فهو حين أراد القول بأن اليهود يقيمون فى الاسكندرية وصفهم بأنهم اسكندريون وحين أراد الحديث عن جالياتهم

استخدم كلمة politeia بدلا من الكلمة الشائعة المعروفة politeuma

وتتأيد مجافاة هذا الوصف للحقيقة بما جاء فى وصف اليهود بأنهم أجانب xenoi رغرباء epeludes metoikoi, وكلها أوصاف صريحة تقطع بأنهم لم يكونوا مواطنين فى المدينة فى قرار فلكوس وخطاب كلوديوس. ان فلكوس لم يحرمهم من حقوق المواطنة لسبب بسيط جدا وهو أنهم لم يتمتعوا بها اطلاقا فضلا عن أنه ليس فى قراره ما ينم عن ذلك • ان كل ما فعله هو أنه جردهم من بعض الامتيازات التى لم تصل الى مرتبة الحقوق التى اكتسبوها بحكم اقامتهم الطويلة فى المدينة مثل الطريقة التى كانوا يعاقبون بها فقد أمر أن تستبدل بها الطريقة التى كانت تسرى على المصريين • وهنا تكمن العقدة النفسية التى أحس بها اليهود احساسا عميقا نتيجة لمساواتهم ، من الوجهة القانونية ، بالمصريين عندما فرضت عليهم جميعا ضريبة الرأس بقيمتها الكاملة ، فاذا قال فيلون أن اليهود لا يقلون شأنا عن الاغريق ولا يختلفون عنهم فى شئ فهو لا يصور الحقيقة بقدر ما يصور مشاعر قومه وأمانيهم وازاء هذا التهجم من ناحية اليهود أصر الاسكندريون على اظهار الفارق بينهم وبين اليهود فطالبوا بابعادهم من الجمنازيوم لانهم غلاظ غير متحضرين واستجاب الامبراطور كلاوديوس لمطالبهم واصدر قراره المشهور بابعادهم عنه • ومهما حاول فيلون القاء تبعة حوادث عام ٣٨ م بالاسكندرية على شذوذ جايوس وانحرافه أو على تهور رعاع الاسكندرية من غير المسئولين فانه لم يستطع اخفاء حقيقة لا مراء فيها وهى أن زعماء الجمنازيوم وكانوا أرقى العناصر المثقفة بين الاغريق ، هم الذين قادوا هذه الحمله •

أما يوسف فقد سبق أن أوردنا جانبا من أقواله المتعلقة بوضع اليهود القانونى فى الاسكندرية والتى ادعى فيها أن الاسكندر وخلفاءه سمحوا لليهود بالاقامة فى المدينة على أساس المساواة التامة مع الاغريق وأن البطالمة الأوائل منحوا اليهود isopoliteia على قدم المساواة مع مواطنى المدينة وأن وصف اليهود بأنهم اسكندريون Alexandreis

يعود الى العصر البطلمى . وقد ناقشنا أقواله تلك وانتهينا الى أن اليهود منحوا فى العصر البطلمى الحق فى تشكيل جالية politeuma مثل الاغريق سواء بسواء وأن كلمة اسكندرى ربما كانت تطلق على اليهود من باب التجوز فقط باعتبارهم من سكان الاسكندرية لا باعتبارهم مواطنين وبالرغم من أن يوسف كان يعلم ذلك تمام العلم الا أن أراد أن يفهم من اطلاق هذا الوصف على اليهود انهم كانوا مواطنين بالفعل . ولعل منشأ اطلاق هذا بالوصف على اليهود هو أنهم فى رغبتهم الجامحة فى أن يتساووا بمواطنى الاسكندرية ودرجوا على استخدامه فيما بينهم وفى الرسائل الخاصة متحاشين مقدرا لذلك الرغبة فى التفرقة بينهم وبين باقى يهود مصر دون أن يكون لذلك سند من الواقع أو القانون . وقال يوسف أيضا أن الاباطرة الرومان لم يحاولوا الانتقاص من الحقوق التى نالها اليهود منذ أيام الاسكندر أو الامتيازات التى أكدها لهم البطالمة وأن يوليوس قيصر سجل على لوحة حق اليهود فى أن يكونوا مواطنين فى الاسكندرية oti alexan- dreon politai eisin .... وفى موضع آخر تحدث عن هذه اللوحة قائلا أنها تلك اللوحة التى سجلت عليها الحقوق dikaiomata التى أسبغها قيصر العظيم على اليهود .

ثالثا ـ رفض كل من فسباسيان وتيتوس حرمان اليهود من الامتيازات المترتبة على حقوق المواطنة to dikaia to tes politia

فى ضوء الوثائق الصحيحة التى ثبت منها أن اليهود لم يكونوا مواطنين فى الاسكندرية وبعد مناقشة أقوال فيلون التى ان دلت على شئ فهى تدل على أنهم كانوا غرباء أو أجانب عن هيئة مواطنى المدينة فاننا لا نستطيع قبول أقوال يوسف ولا سيما بعد ما فندنا مزاعمه بالنسبة للعصر البطلمى . واذا كنا نميل الى القول بأن الاباطرة الرومان لم يحاولوا الانتقاص من حقوق جالية اليهود بالاسكندرية التى حصلوا عليها منذ العصر البطلمى فاننا لا نقر دعواه بأن يوليوس قيصر أو على الأصح أغسطس جعل اليهود

مواطنين politai ونرى أنه ينبغى تفسير هذه الكلمة على أساس أنها تعنى عضوية الجالية • ويرى " بل " بحق أنه لا يمكن اعتبار قول يوسف الخاص بلوحة قيصر أو أغسطس شاهدا تاريخيا قويا نظرا للخطأ الواضح فى نسبة هذه اللوحة الى قيصر اذ أنه لم يكن لقيصر الحق فى التدخل فى شئون الاسكندرية • أما فيما يتعلق بالحقوق التى قال ان فسباسيان وتيتوس رفضا حرمان اليهود منها فاننا نرى أن هذه الحقوق politeia لم تكن حقوق المواطنة وانما الحقوق المترتبة لهم على قيام جاليتهم وعضويتهم فيها وان كان يوسف قد اقتفى أثر فيلون وتعمد استخدام كلمة politeia للايهام بأن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة فى الاسكندرية •

لقد أثارت أقوال يوسف جدلا شديدا بين المؤرخين نتيجة لتعمده استخدام بعض الاصطلاحات فى غير موضعها لتحقيق الهدف الذى وضعه نصب عينيه وهو اثبات أن يهود الاسكندرية كانوا مواطنين لها • لكن هذا التلاعب فى الالفاظ مثل تلاعب فيلون ، لا يمكنه الصمود أمام ما تكشف عنه الوثائق التاريخية المنزهة عن الغرض التى استخلصنا منها رأينا فى مشكلة تمتع يهود الاسكندرية بحقوق المواطنة فى العصر الرومانى ويمكن اجمال النتائج التى وصلنا اليها فيما يلى :

أولا — لم يكن فى وسع اليهودى وصف نفسه فى وثيقة رسمية بأنه اسكندرى ، بل كان يتعين عليه أن ينص على أنه يهودى مقيم فى الاسكندرية •

ثانيا — لم يدع الحاكم الرومانى فلكوس ولا الامبراطور كلوديوس مجالا للشك فى أن اليهود كانوا غرباء عن المدينة وأجانب عن هيئة المواطنين وتأكد ذلك بابعادهم عن الجمنازيوم وعن منظمات الشباب •

ثالثا — بالرغم من التسامح الدينى الذى كان سائدا فى العصر الرومانى الا أن الخلاف الدينى بين اليهود والاسكندريين ظهر بوضوح فى بعض وثائق أعمال شهداء الاسكندرية عندما وصف الاسكندريون اليهود بأنهم كفرة ملحدون مما يدل على اعتراض

اليهود عن دين المدينة وبالتالي على أنهم لم يصبحوا مواطنين فيها •

رابعا — كان اليهود يدفعون ضريبة الرأس مثل المصريين ويعاقبون بالطريقة التي يعاقب بها المصريون مما يقطع بأنهم كانوا غير مواطنين •

ولعل فيلون كان أكثر دقة وادراكا من يوسف لوضع اليهود الحقيقي في الاسكندرية أو انه أكثر منه أمانة عندما اعترف بوجود فوارق بين اليهود والمواطنين الاغريق في الاسكندرية وأن اليهود كانوا غرباء عن المدينة وعن مصر ولولا حماية الملك لهم وعطف سكان البلاد عليهم لما تيسرت لهم الطمأنينة والاقامة الآمنة في بلد هم فيها أجانب وغرباء • وقرر فيلون أيضا أنه بالرغم من اقبال اليهود على الاخذ بأسباب الحضارة الهيلينسية واسهامهم في نشاط الاسكندرية الاقتصادى مما ضيق شقة الخلاف بينهم وبين الاغريق الا أن ذلك لم يؤهلهم لنيل حقوق المواطنة مثل الاغريق سواء بسواء • بل زاد الامر سوءا فرض ضريبة الراس عليهم وان كان فيلون ويوسف لم يشيرا الى ذلك صراحة الا أننا نستشف من حملتهما القاسية على المصريين أنهما أرادا المباعدة بينهم وبين قومهم واظهار تفوق اليهود الواضح على المصريين • وجاءت حملة فيلون على المصريين عنيفة في تهجمها على دين المصريين الذى وصفه بانه دين أحمق الى أبعد الحدود •

ويؤكد يوسف أن المصريين كانوا دائما من الد أعداء اليهود وأن يهود الاسكندرية كانوا يعيشون جنبا الى جنب مع الاغريق والمقدونيين دون أن يحدث شئ من شأنه أن يثير المنازعات بينهم ولكن عندما سمح لمصريين مثل أبيون (وهو مصرى فى رأى يوسف) بالحصول على حقوق المواطنة فى المدينة بدأ اليهود يواجهون استفزازات لا حصر لها • واستنكر يوسف وصف المصريين لليهود بأنهم أجانب رغم أنهم (المصريون) لم يكن لهم حظ من ملك وكانوا طوال حياتهم شعبا مهيضا خاضعا ويحتنقون دينا لا معنى له • لعل مرد حملة فيلون ويوسف على المصريين تلك الحملة القاسية الى شعورهما بالمرارة والاسى لانه برغم ما كان بين اليهود والمصريين من الفارق فى الثقافة والحضارة

وضع اليهود فى مصاف المصريين ولو أنهما تحدثا عن هذه الضريبة ومدى تأثر وضع اليهود بها لكنا قد ظفرنا بمعلومات طريفة عن حقيقة شعور اليهود نحوها ، لكننا لحسن الحظ قد ظفرنا بذلك فى السفر الثالث من كتاب المكابيين الذى قابل بين مواطنة الاسكندرية وضريبة الرأس • ولما كان هذا السفر لم يعد شيئا يذكر عن الاغريق أو الدلمن فيهم وانما حصر كل هجومه على الصابئين فى اليهود والملك وحكومته ، فان ذلك يجعل من المرجح أن فرض ضريبة الرأس على اليهود كان له رنة أسى وحزن فى نفوسهم ، وهذا يجعلنا بالتالى نوافق على نسبة هذا الكتاب الى عصر أغسطس ، ونرى أنه كان انذارا لكل من يحاول التخلص من دفع ضريبة الرأس بالتخلى عن دينه حتى ولو كانت مواطنة الاسكندرية جائزته الكبرى •

وقد قدم لنا أبيون دليلا عمليا على أن اليهود كانوا غير مواطنين ، فقد ذكر أنه عندما نزلت بالبلاد مجاعة وأمرت كليوباترة بتوزيع منح من القمح على مواطنى الاسكندرية لم يكن لليهود نصيب من هذه المنح لأنهم لم يكونوا فى عداد المواطنين وذكر أيضا أنه عندما زار جرمانيكوس مصر فى عام ١٩ م وصادف حدوث مجاعة أخرى أمر بأن تفتح أبواب مخازن الغلال وأن يوزع القمح على المواطنين فان اليهود لم يحصلوا على شىء من القمح • ولئن كان يوسف قد علل تصرف كليوباترة على هذا النحو بسبب خلاف بينها وبين اليهود فانه حاول التخلص من الرد على أبيون بقوله أن عدم توزيع جرمانيكوس القمح على اليهود انما يسأل عنه جرمانيكوس نفسه فضلا عن أن القمح كان شحيحا فى المدينة • وهذا الرد غير مقنع لا يستند الى أسباب معقولة تبرر حرمان اليهود منح القمح مرتين دون سائر مواطنى الاسكندرية لو كانوا فعلا يتمتعون بحقوق المواطنة •

ونخلص من كل هذا الى القول بأن وضع اليهود القانونى فى الاسكندرية ظل على ما كان عليه فى العصر البطلمى من حيث أنهم لم يكونوا مواطنين فيها ، وان كان هذا لا يمنع من أنهم كانوا يتمتعون بوضع خاص ممتاز داخل جاليتهم التى كانت تتمتع بقدر كبير من الاستقلال الذاتى •

ولكن هل يعنى ذلك أنه لم يكن فى استطاعة بعض اليهود اكتساب حقوق المواطنة فى الاسكندرية ؟ نعرف أنه كان من الممكن أن يحصل أى شخص على هذه الحقوق بمقتضى منحة خاصة من الامبراطور ، ونعرف أيضا أن الحصول عليها كان خطوة لابد منها للحصول على الجنسية الرومانية • ولما كنا نعرف أن اسكندر ليسيماخوس ، والد اسكندر الحاكم اليهودى الصابئ، حصل على الجنسية الرومانية فالأغلب الظن أن يكون قد حصل قبل ذلك على حقوق المواطنة فى الاسكندرية ، وان كنا لا نملك دليلا حاسما على هذه الحقيقة • ومن المرجح أن يكون يهود آخرون قد ظفروا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية ، لكننا نستبعد أن عددهم كان كبيرا ولا سيما أن ذلك كان مشروطا بتخليهم عن دينهم واعتناقهم دين المدينة ، ولما كانت اليهودية دينا قبل كل شئ كان خروج يهودى عن دينه كان معناه التنازل عن يهوديته • وعلى كل حال كان حصول بعض اليهود على حقوق المواطنين الاسكندريين أو الرومان لا يستتبع أن ذلك كان ميسورا لليهود جميعا •

وبعد انتهائنا من دراسة وضع اليهود المدنى فى الاسكندرية ننتقل الى داخل البلاد لنعالج وضعهم فى الريف • لقد أوضحنا فى الفصل الخاص بوضع اليهود المدنى فى العصر البطلمى أن اليهود كانوا يؤلفون فى بعض أنحاء مصر نوعا من الجاليات لم تبلغ ما بلغته جالية الاسكندرية من مكانة وما تمتعت به من حقوق وامتيازات وقد جاء فى مصادر العصر الرومانى ذكر بعض جاليات اليهود التى كانت موجودة فى العصر البطلمى وهى جاليات ليونتوبوليس ، وطيبة وأرسنوى وكذلك ذكر جاليات أخرى لم نسمع عنها فى العصر البطلمى وهى جاليات اليهود فى أوكسيرينخوس وفى هرموبوليس وجاليتين أخريين فى مكانين غير معروفين فى مصر العليا ولا يستتبع خلو مصادر العصر الرومانى من ذكر بعض الجاليات التى كانت قائمة فى العصر البطلمى أن تلك الجاليات قد انتهت بانتهاء ذلك العصر وبالمثل من العسير القول أن الجاليات التى ورد ذكرها

لأول مرة فى مصادر العصر الرومانى لم تتألف الا فى هذا العصر • فمن الجائز وعلى كل حال لم يكن قيام هذه الجاليات ميسورا الا اذا كانت الدولة تعترف بها وبحقها فى عقد الاجتماعات ومباشرة عاداتها وتقاليدها •

أما عن التنظيم الداخلى لجاليات اليهود فى العصر الرومانى فلا نعرف عنه الكثير اذ أن الوثائق المتعلقة بهذه الجاليات قليلة ولا نستطيع أن نتبين منها سوى أنه كانت توجد هيئة الرؤساء archontes تشرف على جاليات هرموبوليس وطيبة وأرسنوى • ولما كانت جالية يهود أوكسيرينخوس قد استطاعت سنة ٢٩١ م بفضل ما بلغته من ثراء من تحرير أمة يهودية وطفليها من الرق فانه من الجائز اتخاذ ذلك دليلا على أن تلك الجالية كانت هيئة قانونية ذات شخصية معنوية وباشرت ذلك العمل بوصفه داخلا فى اختصاصاتها •

وازاء نقص معلوماتنا عن التنظيم الادارى لهذه الجاليات لا نستطيع الا أن نفترض أنها كانت تسير على نسق جاليات العصر البطلمى من حيث وجود هيئة تضم بعض الموظفين أو الرؤساء كانت الجاليات تعهد اليهم فى تنظيم شئونها وادارة أملاكها وجمع الأموال اللازمة للانفاق على الجالية وعلى بيعتها ولارسال جانب منها الى أورشليم قبل عام ٧٠ م •

وقد اثبتت الحفائر التى قامت بها البعثة البولندية فى ادفو أن اليهود كانوا يوجدون هناك بكثرة ويقيمون فى الحى الرابع من المدينة • وبالرغم من أن الاستراكا التى عثر عليها هناك وفيرة بشكل غير مألوف الا أننا لم نستطع الوقوف منها حتى على الاشارة ولو تلميحا الى وجود جالية يهودية هناك ومع ذلك فاننا نرجح وجود جالية يهودية منظمة فى ادفو اذ لا يعقل وجود عدد كبير من اليهود فى حى خاص بهم دون أن تكون لهم بيعة ودون أن تنتظمهم جالية •

ونرجح أيضا انتشار كثيرين من اليهود فى مختلف أنحاء الريف لكن عددهم فى كل ناحية لم يسمح بتكوين جالية أو اقامة بيعة .

ونريد بعد ذلك أن نتبين وضع اليهود بالنسبة لطبقة سكان عواصم الاقاليم metropolitai وطبقة خريجى الجمنازيوم hoi apo gymnasiou الممتازين . لقد أعفت هاتين الطبقتين من دفع جانب من ضريبة الرأس ، فى حين أن اليهود كانوا يدفعون هذه الضريبة كاملة بل أنهم فى منطقة أرسنوى كانوا يدفعون ضريبة اضافية فضلا عن ضريبة الرأس وهى ضريبة الخنازير huike وقد كان يهود الأقاليم بالرغم من أن بعضهم اكتسب مسحة اغريقية لا بأس بها لا يستطيعون الالتحاق بالجمنازيوم بعد أن فرضت عليه الادارة الرومانية رقابة دقيقة مثل ما فعلت بالنسبة للجمنازيوم فى الاسكندرية وهكذا يمكن القول بأن اليهود لم يكونوا من بين الطبقات الممتازة فى الاقاليم بل ان وضعهم القانونى كان لا يختلف كثيرا عن وضع المصريين الذين تساووا معهم فى دفع ضريبة الرأس كاملة . ومعنى هذا أن طبقتى حكام عواصم الأقاليم وخريجى الجمنازيوم كانتا مغلقتين دون اليهود مثل ما كانتا مغلقتين دون المصريين . واذا كان اليهود قد حرموا من الانتماء الى هاتين الطبقتين فانه بقى لهم وضعهم الخاص داخل جالياتهم التى تكونت فى أنحاء متفرقة داخل البلاد اذ خصتهم عضويتهم فى هذه الجاليات ببعض الامتيازات التى لم تكن لتتوفر للمصريين .

ويؤيد النتيجة التى وصلنا اليها عن الوضع القانونى ليهود الريف ما نجده فى الوثائق من أن يهود أوكسيرينخوس مثلا كانوا لا يصفون أنفسهم بأنهم من خريجى الجمنازيوم hoi apo gymnasiou ولا من سكان عواصم الأقاليم metropolitai وانما يصفون أنفسهم بالعبارة التالية :

ton op'Ox (yrnchon) pol (eos) loudaion أى أنهم يهود مقيمون فى أكسيرينخوس .

ونخلص من دراستنا للوضع القانونى لليهود فى الاسكندرية وفى خارجها الى ابراز النقاط الاتية :

أولا - بالنسبة للاسكندرية : كان اليهود غير مواطنين ويدفعون ضريبة الرأس كاملة لكنهم كانوا يتمتعون بوضع ممتاز داخل جاليتهم التى كان لها قدر كبير من الاستقلال الذاتى منذ عصر البطالمة • ولا ينبغى أن ندخل فى حسابنا تلك القلة من اليهود التى استطاعت اكتساب جنسية المدينة بطريقة ما •

ثانيا - بالنسبة للريف : كان وضعهم لا يختلف كثيرا من وضع المصريين فكانوا لا ينتمون الى طبقتى سكان عواصم الاقاليم ولا طبقة خريجى الجمنازيوم ومع ذلك كانوا أيضا يتمتعون بوضع خاص داخل جالياتهم •

ولاستكمال دراسة وضع اليهود المدنى فى العصر الرومانى أن نناقش امكان اكتسابهم حقوق المواطنة الرومانية •

كان الحصول على حقوق المواطنة الرومانية يتم بأحد الطرق الاتية :

(١) بمقتضى منحة خاصة من الامبراطور •

(٢) عن طريق الخدمة فى الجيش الرومانى

(٣) فى حالة العتق من الرق

هل كان فى استطاعة اليهود أن يحصلوا على الجنسية الرومانية بهذه الوسائل ؟

لدينا شاهد واضح على أن اليهودى الاسكندرى « اسكندر ليسيماخوس والد الحاكم اليهودى الصابئ تيبريوس يوليوس اسكندر قد حصل على حقوق المواطنة الرومانية بقرار خاص من الامبراطور تيبريوس • وقد افترض بعض المؤرخين أن هذا الشخص لابد أن يكون قد حصل قبل ذلك على حقوق المواطنة فى الاسكندرية استنادا الى أن ذلك كان عادة شرطا أساسيا وخطوة أولى فى سبيل الحصول على المواطنة الرومانية • لكن يجب أن

نتصور أننا لا نملك قرينة على ذلك الا هذا الدليل الضمنى وأن صمت فيلون ويوسف عن حصول اسكندر ليسيماخوس على حقوق المواطنة فى الاسكندرية يثير الشك فى ذلك . لكن بعد تمحيص الموضوع يبدو أنه لا يوجد مبرر لهذا الشك من ناحية ، احتراما للقاعدة العامة ومن ناحية أخرى لأن الذى يملك الكل يملك الجزء . واذا كان فى وسع الامبراطور منح الحقوق الرومانية فانه كان لا يتعذر عليه منح حقوق المواطنة فى الاسكندرية . وعلى أى حال فان الأدلة متوفرة على أنه كان فى استطاعة بعض اليهود الحصول على الجنسية الرومانية بمقتضى منحة خاصة من الامبراطور .

وهل كان فى استطاعة اليهود الحصول على الجنسية الرومانية عن طريق الحكومة فى الجيش الرومانى ؟ سبق أن عرضنا شواهد على نفور اليهود أو الأقل بعضهم من الخدمة العسكرية لتعارضها مع تعاليم دينهم بالاضافة الى أننا أوضحنا أن الأدلة ضعيفة على احتمال خدمة اليهود فى الجيش الرومانى لكن هذا لا يمنع بطبيعة الحال أن يكون بعضهم على الأقل انخرط فعلا فى سلك هذا الجيش وعلى كل حال لا سبيل الى الشك فى أنه كان من حقهم نظريا الالتحاق به ومن ثم كانوا يستطيعون مثل غيرهم من رعاياه الامبراطور الحصول على الجنسية الرومانية عن هذا الطريق وان كانت الوثائق لم تجد علينا حتى الآن بأمثلة تثبت أن ذلك حدث فعلا .

ولما كنا قد عثرنا فى أدفو على اسم عبد يهودى اعتق من الرق يحمل اسم Caecilius وهو اسم رومانى فاننا نميل الى القول بأن بعض اليهود نالوا الحقوق الرومانية بعد أن أعتقهم سادتهم الرومان من الرق .

وهكذا نرى أن بعض اليهود استطاعوا أن يكونوا مواطنين رومان بالطرق التى كان يستطيع بقية رعايا الامبراطورية أن ينالوا بفضلها حقوق المواطنة الرومانية .

ومهما يكن من أمر فان استراكا اد فو تمد نا بأمثلة على أسر يهودية تحمل أسماء رومانية مثل أسرة أنطونيوس روفوس Antonius Rufus من عصر فسباسيان وأسرة أخينئس روفوس من عصر ماركوس أوريليوس • وتمد نا هذه الاستراكا أيضا بأمثلة على أفراد يحملون أسماء رومانية مثل فيريوس M. Annius من عصر فسباسيان • وتاريخ الاستراكا التى تحمل اسمه غير معروف • لكن أيجب اتخاذ الأسماء الرومانية قرينة على أن حامليها كانوا يتمتعون بالحقوق الرومانية ؟ اذا صح ذلك فاننا لا نعرف عن أى طريق من الطرق الثلاثة التى سبقت الاشارة اليها حصل هؤلاء الأشخاص على الحقوق الرومانية • ومن ناحية أخرى يبدو أن يكون بعض اليهود قد اتخذوا أسماء رومانية دون أن يتمتعوا بالحقوق الرومانية مثل ما اتخذوا أسماء اغريقية دون أن يتمتعوا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية ؟

وفى عام ٢١٢ م أصدر الامبراطور كاراكلا دستوره Lex Antoniana de civitate الذى تقرر بمقتضاه منح الحقوق الرومانية لكل سكان الامبراطورية ، فقد جاء فى البردية التى تحوى النص الاغريقى لهذا الدستور " منحنا جميع من فى العالم الرومانى صفة الجنسية الرومانية مع الاحتفاظ ••• ماعدا الأجانب المستسلمين chor (is) ton (de) deitikion ونظرا لسقوط العبارة التى تلى كلمة " الاحتفاظ " اختلف الشراح فى ماهية التحفظ الذى سجله الامبراطور فى قراره والمتفق عليه الآن بين الشراح أن جميع سكان مصر منحوا الجنسية الرومانية وأن عبارة (الأجانب المستسلمين) لا تعنى عدم السماح للأجانب المستسلمين اكتساب حقوق المواطنة الرومانية ولكنها تعنى فقط استثناءهم من أمور معينة وردت فى القرار ولكنها سقطت من البردية وتبعا لذلك لا يمكننا معرفتها وأصبح من المتفق عليه الآن أن كل سكان الامبراطورية أصبحوا مواطنين رومان بمقتضى هذا الدستور • والوثائق التى عثر عليها فى مصر بعد ذلك عام ٢١٢ ، مصريين من سكان الريف يحملون اسم أوريليوس Aurelius وهو اسم أسرة كاراكلا ، وتفسير ذلك أن العادة جرت على أن يحمل الذين اكتسبوا الجنسية الرومانية اسم أسرة

الامبراطور الذى كان سببا فى منحهم حقوق المواطنة الرومانية • والآن نتساءل هل كان فى استطاعة يهود مصر أن يصبحوا بدورهم مواطنين رومان مثل المصريين سواء بسواء بعد أن تساووا معهم من قبل فى دفع ضريبة الرأس ؟

اذا استعرضنا وثائقنا الخاصة باليهود فاننا نجد برديتين من البهنسا احداهما يرجع تاريخها الى سنة ٢٩١ م وتحدثنا بأن يهوديا يدعى أوريليوس بن ديسكوروس Aurelius Disskorou قام مع جالية أوكسيرينخوس بتحرير أمة يهودية وولديها من الرق على نحو ما عرفنا من قبل • أما البردية الثانية فانها ترجع الى عام ٣٠٠ م وذكر فيها اسم رجل يهودى يدعى أوريليوس بن اسحق • وازاء ذلك يمكن القول أن يهود الريف أفادوا من دستور كاراكلا وأصبحوا بفضله مواطنين رومان •

وقياسا على ذلك نرجح أن يكون يهود الاسكندرية قد أصبحوا أيضا مواطنين روما ن

ومما يجدر بالملاحظة أنه لم يترتب على اكتساب اليهود حقوق المواطنة الرومانية اعفاؤهم من ضريبة الرأس فقد ظلوا يدفعونها كما سبق أن أوضحنا بعد عام ٢١٢ م • وبذلك تكون هذه الحقوق قد فقدت قيمتها الاولى • وعلى أى حال لا يمكننا أن نقدر مدى أهمية منح اليهود هذه الحقوق لانها منحت لهم فى فترة كانوا يعيدون فيها تنظيم صفوفهم وتكوين جالياتهم بعد تلك الضربة الساحقة التى كادت أن تودى بهم عقب ثورتهم الكبرى على عهد تراجان •

الفصل الثالث

==

الضرائب

كان اليهود استجابة منهم لتعاليم التوراة كانوا يقدمون الى هيكل أورشليم عدة هبات أو ضرائب مثل ضريبة نصف الشاقل Didrachmon وضريبة أبكار المحاصيل Aparché وغير ذلك مما كان يعرف باسم المال المقدس hiera chremata وأوضحنا أيضا أنهم كانوا يخضعون فى الوقت نفسه للضرائب التى كانت تفرضها الدولة على كافة رعاياها •

ويبدو أن يهود مصر فى العصر الرومانى قد استمروا ، مثل بقية يهود الامبراطورية الرومانية فى الوفاء بالتزاماتهم قبل الهيكل اذ يحدثنا فيلون بأن الجاليات اليهودية فى عصره كانت تبعث الى أورشليم بالأموال المخصصة مع رسل Hieropompoi عرفوا بالأمانة والسمعة الطيبة • وقد اعتادت السلطات الرومانية منذ عهد الجمهورية احترام حق اليهود فى ارسال هذه الأموال الى أورشليم كما شملت بحمايتها القوافل التى كانت تحملها • لكن بعد أن شبت فى فلسطين تلك الثورة العنيفة التى أوقد اليهود نيرانها ضد روما سنة ٦٦ م واستمرت حتى عام ٧٩م حدث تغيير جوهرى فى موقف الرومان من هذه الضرائب ، اذ انه عندما رفض اليهود شروط التسليم التى عرضها عليهم تيتوس خرب أورشليم ودمر الهيكل فى سبتمبر عام ٧٠ م وكان من المتوقع بعد ذلك طبقا للتقاليد الدينية وفتوى الربانيين أن يتوقف اليهود عن تقديم الأموال للهيكل ما دام قد دمر ولم يعد له وجود ، لكن الامبراطور فسباسيان وكان قد اشترك مع ابنه تيتوس فى اخماد ثورة اليهود قبل أن ينادى به امبراطورا فى روما سنة ٦٩ ، قرر أن يدفع اليهود الى الاله جوبيتر (وكان معبده قد دمر فى حريق شب بروما فى عام ٦٩ م) ما كانوا يؤدونه الى هيكل يهوه فى أورشليم • وكان هذا القرار

الواقع عقابا رادعا لهم وسخرية لاذعة منهم ، لكن الامبراطور كان أفطن من أن يمس حق اليهود في مباشرة شعائر دينهم . ويبدو أنه قرر أن يتقاضى من اليهود ثمن السماح لهم بالاستمرار في عبادة يهوه مالا يؤدونه لجوبيتر وربما كانت هذه الضريبة الجديدة ، ضريبة الهيكل التي خصصت لجوبيتر هي التي عرفت في روما باسم Denarii duo Judaeorum باعتبار أن ضريبة نصف الشاقل كانت تساوي دراخمتين بالعملة الاتيكية وأن الدراخمة الاتيكية كانت تساوي دينارا رومانيا . وقد أنشأ الامبراطور في روما خزانة خاصة بهذه الضريبة عرفت باسم Fiscus Judaicus وكان يشرف عليها موظف يعرف باسم Procurator ad Capitolania Judaeorum

وبينما كان الالتزام بدفع المال المقدس للهيكل القديم حسب نص التوراة ، مقصورا على الرجال فقط ممن بلغوا العشرين من عمرهم نجد أن فسباسيان جعله يشمل أيضا الأطفال والنساء والعبيد وعمم بالنسبة لجميع يهود الامبراطورية منذ اليوم الذى دمر فيه الهيكل أى فى العام الثانى من حكمه .

أما فى مصر فقد فرض هذا الالتزام فى العام الرابع من حكمه حسب التقويم فى مصر على أن يكون التحصيل اعتبارا من العام الثانى ومعنى ذلك أنه كان يجب على يهود مصر دفع هذه الضريبة عن سنتين مضتا بالاضافة الى السنة الجارية التى صدر فيها أمر الامبراطور بتحصيلها واذا كانت هذه الضريبة تعرف فى روما باسم Denarii duo Judaeorum فبم عرفت فى مصر ؟

فى رأى تشيريكوفر أن الادارة المالية فى مصر ظلت تحصل هذه الضريبة باسم Timé Denarion duo Ioudaion حتى العام الثامن من حكم الامبراطور فسباسيان ثم حدث انقطاع فى وثائقنا حتى العام الثانى عشر حين ظهرت باسم جديد وهو Ioudaion Telesma ويفسر تشيريكوفر ذلك بأن هذا التغيير فى الاسم يعنى حدوث تغيير مماثل فى السياسة الامبراطورية تجاه هذه الضريبة وأن حصيلتها لم تعد تنفق على

معبد جوبيتر الذى لابد من أن يكون العمل فى اعادة تشييده قد انتهى ومن ثم عـــون دوميتيانوس الذى اشتط فى تحصيل هذه الضريبة على تخصيصها لاعمال أخرى • ولكننا لا نرى مبررا لما يراه تشيريكوفر من حدوث تغيير فى اسم هذه الضريبة وذلك لانها عرفت فى اقليم أرسنوى منذ البداية باسم Ioudaikon telesma فى تقرير رفعـــه Amphodarch المدينة فى عام ٧٢/٧٣ م وفضلا عن ذلك فان قرويا يهوديـــا أدى الضريبـــة بهذا الاسم نفسه فى قريـــة كرانيس فى منتصف القرن الثانى الميـــلادى • ويضاف الى ذلك أن الموظف المكلف بجمعها فى ادفو حوالى سنة ٨٠ م فى العام الثانى من حكم الامبراطور تيتوس كان يعرف باسم praktor Ioudaiou telesmatos هذا الى أن هذا الالتزام قد ذكر اسم Ioudaion telesma فى العام الرابع من حكم دوميتيانوس نفسه فى استراكا من ادفو نشرت بعد سنة ١٩٤٩ ولم يتح لتشيريكوفر الاطلاع عليها حين ابدى رأيه فى كتابه الذى صدر سنة ١٩٤٥ • وعندما نشر مجموعـــة البردى اليهودى C. P. Jud فى عام ١٩٥٧ كان من المتوقع أن يعدل عن رأيه ولكنه لم يفعل • ولا ادرى بم يفسر العودة الى استعمال Times denarion duo Ioudaion فى العام الحادى عشر من حكم تراجان اذا أخذنا بتفسير مانتيفـــل G. Manteuffel ناشر استراكا أدفو بأن كلمة times التى ذكرت بمفردها فـــى الاستراكا رقم ١١٢ لم تكن غير اختصار للعبارة المتقدمة وفى رأينا هذه الضريبة عرفـــت بأسماء متعددة فقد ذكرت بهذه الأسماء التى اشرنا اليها فيما سبق فى أدفو وذكـــرت فى ارسنوى باسم خاص Ioudaikon telesma وعموما فان هـــذه الضريبـــة عرفت فى وثائقنا بعدة أسماء Ioudaikon telesma, times denairon Ioudaion, Ioudaion telesma, duo Ioudaion. وربما عرفت أيضا بالاسم القديم Didrachmon

وبرغم أننا لا نملك وثائق تخص دفع هذه الضريبـــة فى منطقة أخرى غـــير أرسنوى وأدفو الا أن ذلك لا يعنى أن تحصيلها كان مقصورا على هاتين المنطقتين بـــل لابد من أنها كانت تجبى من يهود مصر جميعا •

وتقرير Amphodarch أرسنوى على قدر كبير من الأهمية اذ أنه يرينا أن هذه الضريبة كانت مفروضة على كل يهودى ذكر أو أنثى يزيد عمره على ثلاث سنوات ويرينا أيضا أنه كان على كل رب أسرة يهودى أن يقوم بدفع الضريبة عن نفسه وآل بيته وعبيده ولم يوضح التقرير السن التى كان ينبغى أن يعفى فيها اليهودى من دفع هذه الضريبة • ونفضل الاخذ برأى والاس القائل بأن اليهود كانوا يعفون من دفعها عند سن الثانية والستين • وكان على اليهود أن يخضعوا للاحصاء مرتين فى حياتهم : المرة الأولى فى طفولتهم للتأكد من بلوغهم سن الثالثة ليبدءوا عندها دفع الضريبة والمرة الثانية فى شيخوختهم للتأكد من أنهم قد بلغوا سن الاعفاء •

ويتبين من دراسة استراكا أدفو وبرديتى أرسنوى أن قيمة هذه الضريبة كانت ثمانى دراخمات وأوبلين وذلك باعتبار أن الدراخمة الأتيكية تساوى بالعملة السائدة فى مصر أربعة دراخمات وأن الأوبلين كانا قيمة الرسوم التى تدفع مقابل الدفع بالعملة المحلية • وكانت تضاف الى هذه الضريبة عادة فى نفس الايصال ضريبة Aparché وكانت قيمتها دراخمة واحدة فقد كان ينص فى ايصالات الضرائب فى ادفو على ذكر اسم الضريبتين أو يكتفى بأن يقال أن قيمة ضريبة اليهود تسع دراخمات وأوبلين دون أن يذكر أن هذه القيمة كانت تشمل أيضا ضريبة Aparché ويبدو أن هذه الضريبة أيضا قد صدرت لحساب معبد جوبيتر بعد تدمير هيكل أورشليم •

ويمكن تتبع ضريبة اليهود فى الوثائق حتى منتصف القرن الثانى الميلادى ، لكننا لا نعرف متى تقرر اعفاؤهم من دفعها • وقد كنا أول الأمر نعتقد أن ذلك حدث عند سنة ١١٦ م لعدم وجود أدلة عليها منذ ذلك التاريخ ولكن ذكرها فى بردية من كرانيس يرجع تاريخها الى عام ١٦٤/ ١٦٥ أو ١٦٧/١٦٨ تجعل من المحتمل أن جباية هذه الضريبة استمرت بعد عام ١١٦ م •

ولعل سبب افتقارنا الى وثائق عن دفع هذه الضريبة فيما بين هذين التاريخين يرجع الى نقص الوثائق أصلا نتيجة لنقص عدد اليهود أو انعدام وجودهم فى ادفو وفى كثير من أنحاء الريف المصرى بعد الضريبة القاسمة التى انزلها الرومان باليهود أثر ثورتهم الكبرى فى عام ١١٥ ـ ١١٧ م • ومما يجعلنا نميل الى التفسير الأخير أن بردية كرانيس المشار اليها ترينا أن الذى دفع هذه الضريبة كان يهوديا واحدا وليس مجموعة من اليهود • حقيقة أن ذلك لا يستتبع حتما أنه لم يوجد فى كرانيس الا يهودى واحد وأننا لا نعرف عدد اليهود الذين كانوا فى هذه القرية أصلا قبل ثورة عام ١١٥ م ، لكن لما كانت البردية عبارة عن قائمة بالضرائب التى كان يدفعها سكان كرانيس وكان لم يرد بين الأسماء الكثيرة التى تحويها القائمة اسم يهودى واحد فان هذا يجعلنا نميل الى الاعتقاد على الأقل بأن عدد اليهود قد تناقص بعد ثورتهم على عهد تراجان • وقد يكون صحيحا ما يذهب اليه جوستيه أن الادارة الرومانية ظلت تحصل هذه الضريبة حتى منتصف القرن الثالث الميلادى وعلى كل حال فانه من المرجح أن اليهود استمروا يدفعون هذه الضريبة بعد سنة ١١٦ م •

وقد أسلفنا أنه كان على يهود مصر أن يدفعوا فى عام ٧٢/٧١ المتأخر عن سنوات ثلاث • ومعنى ذلك أن هذه الضريبة ألقت عليهم عبئا ماليا ناءوا به بالرغم من أنهم اعتادوا من قبل دفع مثل هذه الضرائب لهيكل أورشليم • واذا أخذنا بتقدير فيلون لعدد اليهود فى مصر بأنه كان مليونا فمعنى ذلك أنه كان يتحتم عليهم دفع تسعة ملايين دراخمة عن العام الواحد باضافة ضريبة Aparché اى أنه كان عليهم أن يؤدوا الى الادارة الرومانية فى عام ٧٢/٧١ م • ٢٧ مليون دراخمة •

والى جانب هذه الضرائب خضع اليهود لضرائب أخرى كان من أبرزها ضريبة الرأس Laographia

ونعرف أن الادارة الرومانية قسمت سكان مصر بالنسبة لضريبة الرأس الى ثلاث فئات :

أولا – فئة تعفى منها كلية وهم المواطنون الرومان ومواطنو المدن الاغريقية الحرة .

ثانيا – فئة تدفعها بقيمتها المخفضة وتشمل سكان عواصم الأقاليم Metro-politai وكانت تضم الاغريق والمتأغرقين المقيمين فى هذه العواصم ، وطبقة خريجى الجمنازيوم Hoi apo gymnasiou من سكان عواصم الاقاليم .

ثالثا – فئة تدفعها كاملة وهى طبقة سكان الريف من غير الطبقة السابقة وكانت تضم جموع الفلاحين المصريين ومن على شاكلتهم ويطلق عليهم اسم Laographo-umenoi

وقد حاول بعض المؤرخين ارجاع دفع اليهود لضريبة الرأس الى العصر البطلمى استنادا الى السفر الثالث من كتاب المكابيين والى بعض الأدلة الأخرى . أما السفر الثالث من كتاب المكابيين فيجب استبعاده على أساس أنه كتاب أدبى لم يستهدف غير الدعاية ولم يراع كاتبه الدقة التاريخية وفضلا عن ذلك فان تاريخ كتابته مثار خلاف كبير ، ونحن نميل الى الأخذ بالرأى الذى ينسبه الى العصر الرومانى وخاصة الى عصر أغسطس بالذات . أما القرائن التى تعتبر فى رأى البعض دليلا على وجود ضريبة الرأس فى العصر البطلمى فانها هى الأخرى موضع خلاف ويكاد الرأى ينعقد الآن على أن ضريبة الرأس بمعناها الرومانى لم تعرف فى العصر البطلمى .

وقد حفظت لنا بعض البرديات عدة شواهد نستبين منها أن اليهود فى الاسكندرية وخارجها كانوا يدفعون ضريبة الرأس فى العصر الرومانى . وأقدم هذه البرديات عهدا بردية من الاسكندرية ترجع الى عام ٤/٥ ق . م ووصلتنا من الفيوم

بردیتان ترینا أحداهما أن الیهود کانوا یدفعون ضریبة الرأس فی قریة فیلادلفیا فی العام الحادی عشر من حکم الامبراطور تیبیریوس (٢٥ م • وکانت ضریبة الرأس تحصل فی اقلیم الفیوم باسم Syntaximon وکانت قیمتها تبلغ أربعة وأربعون دراخمة لکن هذا المبلغ کان یشمل الی جانب ضریبة الرأس ضرائب اضافیة أخری •

أما البردیة الثانیة فهی ترجع الی عام ١٠٢/٢٠٢ م ونقرأ فیها أن یهودیا یدعی سوتیلیس Soteles بن یوسف من قریة أبولونیا فی قسم Themistes فی اقلیم أرسنوی یبلغ الکاتب الملکی بوفاة ابنه یوسف من زوجته سارا ولم یکن قد سجل بعد فی کشوف الذین حق علیهم أداء ضریبة الرأس اذ أنه توفی دون سن الرابعة عشرة التی تبدأ عندها جبایة ضریبة الرأس •

وفی منطقة طیبة دفع أحد الیهود أربع دراخمات کقسط من أقساط هذه الضریبة • وقد ظفرنا من الحی الرابع بادفو مرة أخری بقطع کثیرة من الأستراکا ترینا أن یهود هذا الحی کانوا یدفعون عن ضریبة الرأس مبلغ ستة عشر دراخمة وهی القیمة السائدة فی مصر العلیا • وکانت أقدم الاستراکا ایصالا بدفع هذه الضریبة فی العام الثانی من حکم فسباسیان •

وعند محاکمة ایسیدوروس المناهض للیهود أمام الامبراطور کلادیوس فی روما ، نراه یقذف فی وجه أجریبا ملك الیهود بأنهم لا یمکن أن یقفوا مع الاسکندریین علی قدم المساواة لأنهم کانوا یدفعون ضریبة الرأس مثل المصریین سواء بسواء • وقد رد أجریبا بأن الیهود لیسوا کالمصریین الذین فرض علیهم حکامهم دفع هذه الضریبة لأن أحدا لم یفرضها علی الیهود • ویری موزیریللو H. A. Musurillo أن أجریبا قصد بذلك أن مجلس شیوخ الجالیة الیهودیة اتفق مع السلطات الرومانیة علی أن یقوم موظفو الجالیة بجبایتها بمعرفتهم من أفرادها وتسلیمها للحکومة • وبذلك یبدو وکأن الرومان لم یفرضوا الضریبة علی الیهود • لکن لا جدال فی أن أجریبا کان مغالطا ولا

فى أن هذا لا يغير من واقع الأمر وهو أن اليهود كانوا يدفعون ضريبة الرأس مثل المصريين .

ومن المرجح أن اليهود استمروا فى آداء هذه الضريبة حتى بعد صدور مرسوم كاراكلا lex Antoniana de Civitate فى عام ٢١٢ م . الذى قضى بمنح الجنسية الرومانية لسكان الولايات وذلك لأن منح هذه الجنسية لم يلغ الالتزامات المحلية خاصة وأن كاراكلا استهدف باصدار مرسومه على حد قول ديون كاسيوس زيادة دخل الدولة بفرض ضريبة Vicesima hereditatum على جميع رعايا الامبراطورية . ويرى بل أنه ليس من المعقول أن يتخذ كاراكلا من الاجراءات ما ينقص دخله من ولايات الامبراطورية . وعلى أى حال فاننا نفتقر الى القرائن التى تدل على أن اليهود توقفوا عن دفع ضريبة الرأس بعد عام ٢١٢ م .

وقد سبق أن تبينا أن اليهود كانوا يدفعون ضريبة الرأس كاملة وبنفس القيمة التى كانت تدفع بنفس قيمتها فى الاقليم الذى كانوا يقيمون فيه شأن غيرهم ، وليست لدينا أى قرائن على أن اليهود أعفوا من دفع هذه الضريبة أو من جانب منها . وهذا يعنى أنهم كانوا ينتمون الى فئة Laographemonoi وأنهم كانوا فى نفس مرتبة المصريين .

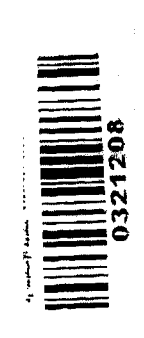
وقد كان اليهود بحكم عملهم فى كثير من أوجه النشاط الاقتصادى فى البلاد ، يخضعون لعدد آخر من الضرائب شأنهم فى ذلك شأن غيرهم . ممن كانوا يمارسون تلك الأوجه من النشاط . اذا كان على الذين يقومون بزراعة الأرض أن يؤدوا الضرائب المفروضة عليها . وتحدثنا الوثائق بأن بعض اليهود فى اقليم الفيوم كانوا يؤدون الى مخازن الغلال ضريبة القمح المفروضة عليهم . وأن بعضهم فى أدفو كانوا يقدمون الى

أمناء هذه المخازن مقادير من القمح عند دراسته فى الاجران huper genemato والبعض يدفعون ضريبة time porou عن القمح أيضا . ونقرأ فى بعض استراكا ادفو أن اليهود كانوا يدفعون ضريبة geometria عن مسح الأرض فى عهد فسباسيان . ويتضح من الملحق الخاص بالضرائب فى العصر الرومانى أن قيمة هذه الضريبة كانت تتراوح بين ٢٥ و ٤٨ دراخمة وأوبلين . وكانت قيمة هذه الضريبة تتوقف على نوع زراعتها فقد كان يدفع كل أرورة من الأرض التى تزرع كروما خمسون دراخمة وعن كل أرورة فى أرض الحدائق خمس وعشرون دراخمة . ولما كانت استراكا ادفو لم توضح نوع المحصول فانه من المرجح أنها كانت تزرع كروما .

وكان اليهود يدفعون مثل غيرهم ضرائب عن الحيوانات وبنفس قيمتها نتعرف مثلا أن يهوديا من قرية Euhemeria (قصر البنات) بالفيوم كان يدفع ضريبة خاصة عن حمير يمتلكها وكذلك كان يدفع بعض يهود ادفو ضرائب عن الحمير وكانت تعرف باسم telos onelaton أو باسم telos diplomatos onon ويحتمل أن الدولة كانت تجبر أصحاب الحمير على استخدامها عن طريق السخرة فى حمل القمح ونقله .

وتقابلنا أيضا ضريبة خاصة كان يدفعها أصحاب القطعان من الماشية وهى ضريبة Phoros propaton

وترينا أستراكا ادفو أن يهود الحى الرابع كانوا يدفعون الضرائب العامة التى فرضتها الدولة على كل السكان فى مصر أو فى مناطق معينة لأغراض خاصة وكانت تعرف باسم mérismoi وتأتى فى مقدمة هذه الضرائب ضريبة الجسور chomatikon وكان يهود ادفو مثل بقية سكان مصر يدفعون نفس القيمة وهى ست دراخمات وأربعة أوبلات . وكانوا يدفعون أيضا ضرائب خاصة مقابل الحراسة مثل opsonion phyla-kēs, phytaktikon ولا تختلف قيمة ما كان يدفعه يهود ادفو عن غيرهم وقد


0321208